نور الدين سيرته ورعايته للعلم والعلماء

الباحث ضرغام عبد الكريم عبد المجيد الجعفري
مركز البحوث والدراسات الإسلامية (مبدأ)

المقدمة

إن الحمد لله وكفى والسلام على عبده الذي اصطفى أما بعد فلقد دفعني قلة الذين تناولوا موضوع نور الدين من نواحٍ عمرانية وعلمية البحث في جوانب مهمة من جوانب هذا القائد العظيم حيث ركز في الموضوعات التي تناولت حياة نور الدين على النواحي الحربية والعسكرية، إذ أشار الباحثون عن أجازاته العلمية فأنها تكاد تكون قليلة جدا قد لا تتجاوز صفحات، أو حتى في بعض الأحيان اسطر قليلة جداً.

وكانت هذه من الصعوبات التي واجهتها في البحث؛ والحمد لله على كل حال، وكذلك من الصعوبات التي واجهتها في توفير المادة التي تناسب الأفكار التي كان ينبغي التأكد من جدواها.

أما البحث فيشمل ثلاثة فصول، فالفصل الأول شمل ترجمة حياة نور الدين بصورة موجزة والتعرف عليه وبشمائله وأهم معاركه، وسياسته، وأولاده، حيث شمل المبحث الأول من الفصل الأول اسم نور الدين وأصل أسرته، وكذلك شمل ألقاب نور الدين وكنيته أما الموضوع الثاني من المبحث نفسه فقد شمل شخصية نور الدين وصفته، وتضمن المبحث الثاني من الفصل الأول عن نشأة نور الدين وطفولته، والموضوع الثاني من المبحث نفسه كيف أصبح قائد التحرير والوحدة، وكيف استطاع أن يقضي على المؤامرات الداخلية والخارجية على حكمه وكيف استطاع أن يوحد الأمارات الإسلامية تحت لوائه وان يقود الجبهة الإسلامية المتحدة التي كان هو مؤسسها، وان يوحد الجهود لتحرير الأرض، ويتوجها في معركة حارم وان يقضي على الدولة العبيدية الخبيثة، وكذلك عن أولاده الذين لم يكن له سوى اثنين هما ابن وبنت ولم يتمكن ولده من الحفاظ على ما حققه والده وتقاسم أملاك والده الأمراء وتنازعوا فيما بينهم.

أما الفصل الثاني فقد أشتمل على مبحثين، المبحث الأول رعاية نور الدين لدور العلم التي شملت اهتمامه وبنائه أول دار حديث في الإسلام حيث لا يعرف احد قبل نور الدين إنشاء دار حديث غيره وكذلك بناؤه المارستان (المستشفى) بدمشق التي تعتبر أعظم المستشفيات في وقته كما وصفها عدد من المؤرخين وأما المبحث الثاني فأشتمل على رعاية دور العلم الشرعية المتمثلة ببناء المدارس وأعمار المساجد حتى غدت بلدة الشام يقصدها العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب، وفي كل فن من فنون العلوم.

أما الفصل الثالث فأشتمل على تمهيد ومبحثين فالتمهيد أكد على أهمية العلم وآيات العلم في القرآن وأحاديث الرسول محمد ﷺ في العلم ونهج الخلفاء الراشدين ﷺ في الحث على التعلم والتعليم، ومنهج من أتى بعدهم من الأمويين والعباسين، والقادة الذين سبقوه إلى ذلك الأمر وشمل المبحث الأول موضوع تكريم العلماء وإظهار مدى تكريم نور الدين للعلماء ومتى جاءه عالم أكرمه وأعطاه عطاءاً جزيلا وأكرم طلبة العلم وبنى لهم الزوايا في المساجد والحمامات وكان يكرم العلماء حتى لو كانون غرباء، اما الموضوع الثاني من المبحث نفسه فقد شمل مجالسة ورعاية العلماء والعلم ومنهم علماء الفقه والدين وخاصة العالمين في الشرع والأدب والشعر اما المبحث الثاني من الفصل نفسه، فقد شمل مجالس الأطباء والشعراء والأدباء والموضوع الأخير من البحث كان عن المؤلفين الذين كتبوا مؤلفات في العلوم المختلفة.

وقبل أن اختم هذه المقدمة المتواضعة احمد الله تعالى واشكره على ما تفضل علي وأن أتقدم بشكري الخالص إلى كل من ساهم في أنجاز هذا البحث الذي اسأل الله عزوجل أن يجعل فيه الفائدة للقراءة وطلاب العلم، والله من وراء القصد.

الفصل الأول
المبحث الأول

1. نور الدين، اسمه ولقبه وكنيته

هو محمود بن زنكي بن آق سنقر بن عبدالله آل ترغال من قبيلة (ساب يو)[1] التركمانية التي أغفلت المصادر التاريخية تحديد موطنها، وطبيعة علاقتها بالسلاجقة ولقب نور الدين عدداً من الألقاب منها (الملك العادل)[2] (نور الدين الشهيد)[3] (ناصر أمير المؤمنين)[4] (قسيم ابن القسيم)[5] ولقد لقبه به الفرنج و(تقي الملوك)[6] (ليث الإسلام)[7] (الملك القمام)[8] (ناصر الإمام)[9] (الكامل العادل الزاهد المجاهد المرابط الهمام)[10].

ومن ألقابه أيضاً التي أتت من بغداد من قبل الخليفة عندما اسقط الدولة العبيدية في مصر وكانت هذه الألقاب تخطب على المنابر (اللهم أصلح المولى السلطان الملك العادل العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المراوغ المثاغر نور الدين وعدته، ركن الإسلام، وسيفه قسيم الدولة وعمادها، اختيار الخلافة ومعزها، رضي الإمامة وأثيرها، فخر الملة ومجيرها، شمس المعالي وملكها سيد الملوك المشرق والمغرب وسلطانها محي العدل في

العالمين منصف المظلوم من الظالمين، ناصر دولة أمير المؤمنين)[11] ثم إن نور الدين اسقط جميع الألقاب قبل موته وأصبح الدعاء على المنابر: اللهم أصلح عبدك الفقير محمود بن زنكي[12] أما كنية نور الدين فقد كني(أبو القسم)[13] والظاهر أنه لا يخالف الكنية الأولى حيث أن القسم يقرأ القاسم هذه أهم ألقابه واهم ما كنّي به.

2. أسرته

وكان أول ظهور للعائلة على مسرح الأحداث السياسية والتاريخية جاء من قبل جد نور الدين اق سنقر[14] فقد كان من أصحاب ملكشاه بن الب ارسلان[15][16]، ومن المقربين لديه[17]، وممن ربي معه في صغره واستمر في صحبته إلى حين كبره، فلما أفضت السلطنة بعد أبيه إليه جعله من أعيان أمرائه واخص أوليائه، واعتمد عليه في مهماته وزاد قدره علواً إلى أن صار يتقيه[18].

ثم ان نظام الملك[19] أشار على السلطان بتسليم قلعة حلب وأعمالها و(حماة) و(منبيج)[20] و(اللاذقية) وما معها إلى آق سنقر فاقطعه الجميع، وبقيت بيده إلى أن قتل سنة 487هـ[21] ولما استقر آق سنقر في الشام ظهرت كفاءته وحمايته هيبته في جميع بلاده[22] وسير الجيوش إلى تكريت وشيراز[23] وحمص وملك الرحبة، ولكن بعد موت ملكشاه تنزع ابناه تكيا روق ومحمد، ودامت الحروب بينهم اثنى عشرة سنة إلى أن توفى تكياروق واستقرت السلطنة لمحمد [24] وكان السلطان قد اقطع أخاه (تتش)[25]، مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية[26] وبيت المقدس، فلما ملكشاه طمع (تتش) في السلطنة وقاتل (تتش)، آق سنقر، وانهزم (آق سنقر) واخذ (تتش) اق سنقر وقتله[27].

ولما مات آق سنقر لم يكن له سوى ولد واحد هو اتابك[28] زنكي والد نور الدين حيث كان عمره نحو عشر سنوات وكان تحت رعاية مماليك والده وركن الدولة (تكياروق) وفي هذا الجو ترعرع زنكي وخاض حروباً عديدة، واستطاع أن يوسعه ملكه، ولا يسمح المجال لذكرها[29] ولعل أشهر ما قام به هو تحرير الرها[30] من أيدي الفرنج عام 539هـ[31] واستشهد زنكي على يد بعض مماليكه عام 541هـ[32] وهو يحاصر قلعة (جعبر)[33] وجاء بعده إلى حكم املكه أولاده حيث حكم نور الدين حلب وتمكن أخوه سيف الدين غازي[34] من الاحتفاظ لنفسه بالموصل وأصبح الحد الفاصل بين أملاك الأخوين نهر الخابور.

أما الابن الثالث لزنكي وهو نصر الدين أمير اميران[35] فقد حكم حّران تابعاً لأخيه

نور الدين، والابن الرابع قطب الدين مودود[36] كان صغير العمر دخل في رعاية غازي في الموصل وبسبب موقع حلب وقربها من مواقع الفرنج واتبّاع نور الدين نهج والده أدى به هذا الأمر إلى أن يكمل ما بدأ به والده وان يستمر في قتال الفرنج.

المبحث الثاني

1. نشأة نور الدين

أجمعت المصادر التاريخية على إن نور الدين ولد قبل طلوع الشمس يوم الأحد السابع عشر من شوال عام 511هـ بحلب.

ونشأ نور الدين في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثيرة والكبيرة وتعلم القرآن والفروسية والرمي وقلة المخالطة للجند، وكان أبوه يقدمه على بقية أولاده ويرى فيه مخايل النجابة[37].

وخصص زنكي والد نور الدين لتربية أولاده علياً بن منصور السروجي، حيث كان أديباً وشاعر وخطاط، وظل نور الدين ملازماً والده إلى مقتله[38].

2. أولاد نور الدين

أن نور الدين لم يكن له من الأولاد الذكور سوى واحد فقط وهو الصالح إسماعيل الذي قام بالملك بعد والده نور الدين عام (569هـ)[39] وكان عمر يومئذ أحد عشرة عاماً[40] ولكن لصغر سنه وطمع الأمراء والمتنفذون والمسيطرون على الإمارات التي كانت تابعة للملك نور الدين أن ينفصلوا عن طاعته ويعلن كل أمير استقلاله الآمر الذي أدى إلى الاقتتال بينهم وسفك دماء بعضهم بعضاً[41].

واضطر صلاح الدين أن يقاتل بعضهم وان يسيطر على إمارتهم ليس من اجله ولكن من اجل هدف أسمى وهو تحرير القدس[42]؛ وسيطر على مقاليد الحكم في حلب التي كان بها الصالح إسماعيل شمس الدين محمد بن عبد الملك، المعروف بابن المقدم[43]؛ وتوفى الصالح إسماعيل عام 577هـ بداء القولنج وقيل أنه مات مسموماً[44] وقد استفتى الفقهاء في مرضه عن شرب الخمر بعد أن وصف له الأطباء شرب الخمر من أجل التداوي فأفتوا بجواز ذلك فسأل الأطباء هل يزيد شربها في اجلي أو أن ينقص منه إن تركها شيئاً؟ قالوا لا.

قال: فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه الله علي[45].

وكان كما وصفه ابن الأثير حليماً، كريماً عفيف الفرج واللسان، ملازماً للدين لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الملوك والشباك من شرب الخمر، أو غيره، حسن السيرة في الرعية، عادلاً فيهم[46].

لم يكن لنور الدين من الإناث سوى واحدة لم تذكر المصادر التاريخية اسمها بل اكتفت إلى أن تشير إليها أنها ذهبت إلى صلاح الدين عندما كان محاصراً حلب وحدث في أثناء الحصار صلح بين الزنكيين والأيوبيين أراد إسماعيل ضم (عزاز) إلى حلب فأرسلها إلى صلاح الدين وكانت صغيرة فعندما أراها صلاح الدين أكرمها اكراماً عظيماً ووقف قائماً لها وقبل الأرض على نور الدين[47]، فسألت أن يرد عليهم عزاز، فقال: سمعاً طاعة، أعطاها إياها، وقدم لها من الجواهر والتحف والمال شيئاً كثيراً[48].

3. نور الدين قائد لواء التحرير والوحدة.

لا يخفى على القارئ والمتتبع لمسيرة هذا القائد أنه من أحد القادة العظام الذين خدموا هذا الدين وخدموا أمتهم وأنه ساهم في فتح الطريق إلى تحرير ونهوض الأمة بعدما تمزقت وافترقت وأصبح هم حكامها السيطرة على الدويلات والحفاظ عليها حتى لو تعاونوا مع الفرنج[49].

حيث أظهر نور الدين من الكفاءة والعقل وبعد النظر والحرص على مصالح المسلمين مما جعل منه بطلاً حقيقاً من أبطال تلك الحقبة، أتم رسالة أباه في الجهاد ضد الفرنج والسعي إلى ضم كل من دمشق ومصر وغيرها من الإمارات الإسلامية التي كانت تشكل دويلات ضعيفة أمام الفرنج أو التنازع فيما بينها.

أول أعمال العسكرية قام به نور الدين هو الهجوم على السواحل الشمالية لبلاد الشام وتمكن من تحريرها من الفرنج عام 542هـ[50] وفي عام 543هـ تمكن نور الدين من الانتصار على صاحب إنطاكية (البرنس)[51] كما تلقبه به المصادر العربية، وأنتصر نور الدين في معركة انب[52] على الفرنج وأبادهم عن بكرة أبيهم وكان من القتلة البرنس صاحب أنطاكية وصاحب كيسوم[53] ومرعش[54] وعلي بن وفا زعيم الباطنية الحشيشية الذي كان محالفاً للإفرانج[55].

وفي عام 545هـ فتح نور الدين حصن (فامية)، وهو من أحصن القلاع وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يفلح في ذلك، وفتح بها من الحصون حصن عزاز واسر ابن ملكها جوسلين ثم اسَر بعده والده جوسلين الفرنجي[56].

وفي عام 546هـ هاجم نور الدين دمشق وحاصرها شهوراً ثم رحل عنها إلى حلب[57]، وفيها أنكسر جيش المسلمين أمام الفرنج فترك نور الدين الملذات والترف إلى أن يأخذ الثار[58] وفتح نور الدين حصن (انطوسوس) وقتل من كان فيه، من الفرنج وطلب الباقون الآمان على أنفسهم فأجابهم إلى ذلك وكان هذا عام 547هـ[59] واستطاع نور الدين السيطرة على دمشق[60] وكان نور الدين يخطط من زمن بعيد لا خذها لأنها في طريقه إلى الفرنج وكان ذلك عام 549هـ[61] حيث احتل الفرنج مدينة عسقلان في عام 548هـ ولم يكن طريق لنور الدين الاّ انتزاعها من الفرنج[62]، لاعتراض دمشق بينه وبين (عسقلان) واستطاع نور الدين من السيطرة على قلعة (تل باشر)[63] التي هي من امنع القلاع عند الفرنج، وحاصر نور الدين قلعة (حارم)[64] وهي قلعة من قلاع الفرنج تم فك الحصار عنها بعد أن صالحه أهلها على أن يعطوا إلى نور الدين نصف أعمال حارم وكان ذلك في عام 551هـ[65] واستطاع نور الدين من امتلاك حصن سيرز وبعلبك حيث أراد نور الدين أن يمتلكها بعد أن سيطر على دمشق واستطاع ذلك في عام 552هـ[66]، وفي عام 554هـ هادن نور الدين ملك الروم القادم من القسطنطينية بقصد المعاقل الإسلامية وبعد تكرار المراسلات والاقتراحات في التقديرات، أطلق نور الدين مقدمي الفرنج من الحبس[67]؛ وفي عام 557هـ حصار نور الدين حصن (حارم) ولم يستطع فتحه للمنعةِ وقوة الفرنج الذين هم بداخله فرحل عنه ولم يحقق نور الدين مطلبه في تحريره[68].

وفي عام 558هـ انهزم نور الدين أمام الفرنج تحت قلعة الأكراد وانكسر جيش المسلمين وتمكن نور الدين من النجاة بعد أن وصل الفرنج إلى خيمته، أرسل نور الدين إلى مصر (شيركوه) بعد أن استنجد به شاور[69] وكان ذلك عام 559هـ[70] بعد أن ثار عليه ضرغام[71] وتمكن شيركوه من إرجاعه إلى وزارة مصر واتفق شاور مع نور الدين على أن تكون ثلث غلاّت مصر إلى نور الدين، وفي نفس العام حدث فتح عظيم للمسلمين حيث لا يقل أهمية عن حطين فقد انتصر نور الدين على الفرنج في وقعة حارم وكان سبب هذه الواقعة إن نور الدين بعد هزيمته في حصن الأكراد اقسم على الجد والاجتهاد

والاستعداد للجهاد والأخذ بثأره وغزو العدو في عقر داره[72]، فإرسل نور الدين إلى الأمراء يستغيث بعساكر المسلمين فجاؤ من كل فج عميق[73] فالتقى معهم على حارم وانكسر الفرنج كسرة عظيمة واسر البرنس (يمند)[74] وصاحب إنطاكية والقومص[75] وصاحب طرابلس والدوك[76] صاحب الروم وابن جوسلين وقتل من الفرنج عشرين آلفاً[77] ويروي أبو شامة أن عدد القتلة من الفرنج كان عشرة آلاف[78] أما الأسرى فلم يحصوا لكثرتهم، ويكفي دليلاً على ذلك أن جمع ملوكهم اسروا؛ وسار نور الدين إلى (حارم) فملكها وغنم ما كان فيها من الأموال والخيل والسلاح والخيام وغير ذلك وعاد إلى حلب بالأسرى والغنائم وامتلأت حلب منهم وبيع الأسير بدينار واستفتى نور الدين الفقهاء في أمر الملوك الأسرى فقال بعضهم يقتل الجميع وقال قسم أخر بأخذ الفداء فمال نور الدين إلى الفداء فأخذ منهم ست مئة ألف دينار معجلة وخيلاً وسلاحاً وغير ذلك فكان نور الدين يحلف بالله تعالى أن جميع ما بناه من المدارس والأوقاف والربط وغيرها من هذه المفادة وجميع وقفه منها وليس فيها من بيت المال الدراهم الفرد[79].

وفي عام 560هـ فتح نور الدين عنوة بانياس[80] وفي عام 561هـ فتح حصن النيطرة[81]؛ أرسل نور الدين جيشاً بقيادة شيركوه بعد أن أقبل الفرنج على مصر وكان شيركوه كثير الحنق على شاور وسار مع شيركوه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي وكان ذلك عام 562هـ[82].

وقطع نور الدين الفرات واستولى على الجزيرة والرها في عام 563هـ[83] وفي عام 564هـ اخذ نور الدين قلعة (جعبر)[84]، وفيها كذلك أرسل نور الدين شيركوه للمرة الثالثة إلى مصر حيث هزم شيركوه الفرنج وقتل شاور حيث استدعى شاور الفرنج لتثبيت حكمه في مصر بعد كثرة الاضطرابات وأصبحت لهم بها شحنة[85] بالقاهرة، وأصبح شيركوه وزير العاضد[86] وبعد شهرين من وزارته مات وخلفه صلاح الدين وأصبح صلاح الدين وزير العاضد وتمكن صلاح الدين من القضاء على الدولة العبيدية والخطبة للخليفة العباسي المستضئ[87][88]. بعد انقطاع دام 208 سنة وتحولت مصر من المذهب الإسماعيلي الباطني إلى المذهب الشافعي دون أن يتنطح فيها عنزان على قول ابن الأثير[89]؛ وبعث الخليفة إلى نور الدين وصلاح الدين الخلع وكانت خلعة نور الدين فرجية وجبة وقباء

وطوق ذهب وحصان بسرج خاص وسيفين ولواء فتقلد السيفين إشارة إلى الجمع له بين الشام ومصر[90].

وكان القضاء على الدولة العبيدية أمر لابد منه لأنها كانت تكثر قتل الصالحين فعلى سبيل المثال لا الحصر كان العاضد يقتل كل سني يضفر به وكان القائم[91] ينادي في الأسواق (العنوا عائشة وبعلها، والعنوا الغار ومن حوى)[92] وقتل الفقهاء والعلماء[93]. وهذا جزء يسير من أفعال هذه الدولة الخبيثة وهذا غيض من فيض.

ابرز صفاته وسجاياه الخلقية:

كان اسمر اللون طويل القامة حلو العينين واسع الجبين حسن الصورة تركي الشكل ليس له لحيه ألا في حنكه، مهيباً متواضعاً عليه جلالة ونور، يعظم الإسلام وقواعد الدين ويعظم الشرع[94].

وكان حسن الخط، كثير المطالعة للكتب الدينية، متبعاً للآثار النبوية، مواظباً على الصلوات الجماعات، عاكفاً على تلاوة القرآن، حريصاً على فعل الخير عفيف البطن والفرج، مقتصداً في الأنفاق، متحرياً في المطاعم والملابس لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره وأشهى ما إليه كلمة حق يسمعها، أو إرشاد إلى سنه يتبعها[95]، ولو لم يكن من حسن من خصاله ألا ما علم؟ وشاع إنه إذا وعد أوفى، وإذا أوعد عفا، وإذا تحدث بشي يقف عليه، ولا يخالف قوله، ولا يجري في مجلسه الفسق والفجور والشتم والغيبة والقدح في الناس والكلام في أعراضهم كما يجري في مجالس الملوك، ولا يطمع في اخذ أموال المسلمين[96].

ويقول ابن الأثير عنه (قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحرياً للعدل والأنصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجز له، ومظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، واحسان يوليه، وانعام يسديه، ونحن نذكر ما نعلم به محله في أمر دنياه وأخره)[97] ويصفه في محل أخر (وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ليس عنده فيه تعصب، وسمع الحديث واسمعه طلباً للأجر)[98].

وكان فريداً في زمانه من سائر الملوك ولو لم يكن ألا استماعه للموعظة وانقياده لها وان اشتملت على ألفاظ قد أغلظ فيها[99]، ويصف ابن الأثير زهد نور الدين (فإنه كان

لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف ألا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصودة لمصالح المسلمين ولقد شكت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له، يحصل لها في السنة نحو عشرين ديناراً، فلما استقلتها قال: ليس لي ألا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين، لا أخونهم فيه ولا أخوض نار جهنم لا جلك كان يصلي كثيراً بالليل، وله أوراد حسنة)[100].

وكان كما يقول الشاعر:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب[101]

ويصفه ابن قاضي شهبة كان كثير الصوم، وله أوراد في الليل والنهار وكان يقدم أشغال المسلمين عليها، ثم يتمم أوراده ويصفه في مكان أخر (وكان يخيط الكوفي ويعمل السكاكر للأبواب وتبيعها العجائز ولا يدري بهن أحد)[102] أما عدله فهو أول من بنى دار العدل بدمشق، سماها دار الكشف[103]، وسببها أن الأمراء لما قدموا مدينة دمشق فبنوا الأملاك واستطالوا على الناس[104]، فكثرت الشكاوي إلى القاضي كمال الدين[105]، فأنصف بعضهم ولم يتجرا على أسد الدين شيركوه[106] فلما سمع نور الدين بذلك بنى هذه الدار أحس أسد الدين بهذا فقال لنوابه والله لئن أحضرت ألى دار العدل بسبب أحدكم لا صلبنه، فامضوا إلى كل من بينكم وبينه منازعة فارضة وافصلوا الحال معه، فقالوا إذا فعلنا هذا فان الناس يشطون في الطلب، فقال خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين ظالم، وكان نور الدين يجلس في هذه الدار يومين في الأسبوع، فلما علم ما حصل مع أسد الدين شيركوه سجد لله شكراً[107] وكان يجلس كذلك أربع أو خمس مرات في الأسبوع[108] وعنده القضاة والفقهاء ويأمر بإزالة الحجاب والبواب، ويصل إليه الشيخ الضعيف والعجوز الكبير ويسأل الفقهاء عن ما أشكل عليه من الأمور الغامضة، فلا يجري في مجلسه ألا محض الشريعة المطهرة وبقى على ذلك مدة، فلم يحضر أحد يشك من شيركوه، فعرفوه القاضي الحال فسجد لله شكراً وقال: الحمد لله الذي أصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم إلينا.

فانظر إلى هذه المعدلة ما أحسنها، وإلى هذه المهابة ما أعظمها والى هذه السياسة ما أشدها هذا مع انه كان لا يريق دماً ولا يبالغ في عقوبة، إنما كان يفعل هذا صدقة في عدله وحسن نيته[109].

ومن عدله أيضاً، بعد موته، وهو أعجب ما يحكى أن أنساناً كان بدمشق غريباً استوطنها أقام بها لما رأى من عدل نور الدين فلما توفى نور الدين، اعتدى بعض الأجناد على هذا الرجل فشكى أمره فلم ينصفه أحد، فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي، وقد شق ثوبه ويقول يا نور الدين: لو رايتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا أين عدلك؟ وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى، وكل منهم يبكي ويصيح؛ فوصل الخبر إلى صلاح الدين وقيل له: أحفظ البلد والرعية وإلا خرج عن يدك.

فأرسل إلى الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه فطيب قلبه ووهبه شيئاً وأنصفه، فبكى اشد من الأول فقال صلاح الدين: لم تبكي؟ فقال: ابكي على سلطان عدل فينا بعد موته؛ فقال صلاح الدين: هذا هو الحق، وكلما ترى فينا من عدل منه تعلمنا[110].

ومنع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن أدخلها إلى بلد ما، كان يحد شاربها الحد الشرعي كل الناس عنده فيه سواء ولما مات نور الدين فرح الأمراء وعاثوا في الأرض الفساد وتحقق قول الشاعر:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرَ ولا تسقني سراً وقد أمكن الجهر[111]

وكان في الحرب ثابت القدم، حسن الرمي، صليب الضرب، يقدم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسأل الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير[112] وكان أصبر الناس في الحرب، وأحسنهم مكيدة ورأيا وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم. وبه كان يضرب المثل السائر في ذلك[113].

وكان إذا حضر الحرب اخذ قوسين وشد تركاشين[114]، وكان يباشر الحرب بنفسه وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم أدركها ولو كان في خير ولي عند الله قيمة لرزقها، والأعمال بالنيات[115]، وقال له يوماً القطب النيسابوري الفقيه الشافعي[116]: يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك والإسلام والمسلمين فانك عمادهم فلو أصبت في معركة والعياذ بالله لا يبقى أحد من المسلمين إلا اخذ بالسيف وتؤخذ البلاد، فقال يا قطب الدين اسكت فان قولك هذا إساءة أدب على الله ومن هو محمود حتى يقال له هذا؟ قبلي من حفظ البلاد ذلك الله الذي لا اله إلا هو فبكى من كان حاضراً[117].

ويصفه الذهبي (كان ذا عقل متبن ورأي رهين، مقتدياً بسيرة السلف، متشبهاً بالعلماء والصلحاء، روى الحديث واسمعه بالإجازة، وكان من رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبة الملك ما يبهره. فإذا فاوضه رأى من لطائفه وتواضعه ما يحيره) فدائهم، فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة وكانوا من حماه من جملة عمالته، فامر بصرفهم واخراج عوض عنهم من المغاربة وقال: هؤلاء يفكهم أهلوهم وجيرانهم والمغاربة غرباء لا آهل لهم)[118].

الفصل الثاني

تمهيد

لم يكن نور الدين قائدا ومحرر الأراضي الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي فحسب بل كان من الذين انهضوا الأمة وأدرك أن تحريرها لا يتم فقط بالسيف بل بتحرير أفكارها واستنهاضها من السبات الطويل الذي أدى بها إلى أن تغزى في عقر دارها واستباح حرماتها ومقدساتها من قبل الفرنج بعد أن كان المسلمون هم من قادة لواء ومشاعل التحرير وحرروا شعوبهم من الجهل والتخلف الذي عاشوا فيه طويلا فمن الطبيعي أن يرعى نور الدين دور العلم والعلماء ورجال الفكر في عصره ليعملوا على نهضة الأمة وتحرير مقدساتها ولا يتم ذلك إلا بجهود هؤلاء الذين سعوا إلى بث روح الجهاد والوحدة في صفوف الأمة بعد أن مزقتها الصراعات بينها و أصبحت في كل منطقة من مناطق العلم الإسلامي دويلة صغيرة شغلها الشاغل محاربة الإمارات الإفرنجية الغامضة أرضها إن اهتمام نور الدين سبقوه إلى ذلك فمنذ أن نزل القرآن الكريم على الرسول الأمين خاتم النبيين محمد ﷺ يدعوا إلى العلم والتعلم و أكدت ذلك عدد من الآيات المحكمات في القرآن الكريم حيث قال تعالى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[119] وقوله تعالى ﴿ سُورَةُ المَعَارِجِ سُورَةُ نُوحٍ سُورَةُ الجِنِّ سُورَةُ المُزَّمِّلِ سُورَةُ المُدَّثِّرِ سُورَةُ القِيَامَةِ سُورَةُ الإِنسَانِ سُورَةُ المُرسَلَاتِ ﴾[120] وقوله تعالى ﴿ سُورَةُ الحِجرَاتِ سُورَةُ قٓ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ سُورَةُ الطُّورِ سُورَةُ النَّجمِ سُورَةُ القَمَرِ ﴾[121] وقوله تعالى ﴿ سُورَةُ الشَّمسِ سُورَةُ اللَّيلِ سُورَةُ الضُّحَىٰ سُورَةُ الشَّرحِ سُورَةُ التِّينِ سُورَةُ العَلَقِ سُورَةُ القَدرِ سُورَةُ البَيِّنَةِ سُورَةُ الزَّلزَلَةِ سُورَةُ العَادِيَاتِ ﴾[122] وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وكذلك ما أكد عليه رسول الله ﷺ في فضل العلم والتعلم حيث قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال رسول الله ﷺ }**من يرد الله به خيرا يفقه في الدين**{[123]

وكذلك عن بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ }**لا حسد إلا في ثنين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**{[124] وكذلك عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبى طالب ﷺ }**فو لله لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم**{[125]. وكذلك عن انس ﷺ قال رسول الله ﷺ }**من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع**{[126][127] وكذلك عن أبى إمامة ﷺ قال رسول الله ﷺ }**أن الله وملائكته وآهل لسماوات والأرض وحتى النملة وحتى الحوت ليصلون على معلمي الخير**{[128] ثم قال عليه الصلاة والسلام: }فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم{[129].

وكذلك نهج الخلفاء الراشدين ﷺ هذا النهج الحميد فحثوا على التعلم فقد قال الخليفة عمر ﷺ }قيد العلم بالكتاب{[130] وكذلك قول الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ }من يشتري مني العلم بدرهم{[131].

وبعدهم انتهج الذين جاءوا ورائهم النهج نفسه فعلى سبيل المثال لا الحصر شجع خلفاء بني أمية الشعر فقد قال عبد الملك بن مروان عن الأخطل شاعر بني أمية ولقبه (شاعر العرب)[132] واهتموا كذلك بالعلوم الدينية والعقلية.

أما في العصر العباسي فقد اهتم الخلفاء العباسيون اهتماماً عظيما بالعلم حتى أصبحت بغداد عاصمة الدنيا ودار الحكمة التي أنشأها الرشيد دار العلوم والفنون.

المبحث الأول - تكريم العلماء

تشير المصادر التاريخية إلى أن عصر نور الدين قد شهد ازدهاراً علميا كبيرا وهو يعبر عن خطة مدروسة تبناها هذا السلطان بهدف نشر مبادئ الدين الصحيح ومحاربة البدع بتعليم وتكريم العلماء حيث انه في رجب عام 543هـ قام نور الدين بأبطال حي على خير العمل، والتظاهر بسب الصحابة[133] وهذا في محاربة البدع أهل التشيع والإسماعيلية.

أما تكريم العلماء فقد ذكر أبو شامة في الروضتين }بنى الربط والخانقات في جمع البلاد للصوفية، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأدار عليهم الإدارات الصالحة، وكان يحضر مشايخهم عنده ويقربهم ويدينهم ويبسط معهم ويتواضع لهم، فإذا اقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته ويقبل عليه بحديثه وكذلك كان أيضا يفعل

بالعلماء من التعظيم والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر فقصدوه من البلاد الشاسعة من خراسان وغيرهاﭫ[134]. ويزيد في مكان آخر أبو شامة }كان أهل الدين عنده في أعلى محل وأعظمه، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك وكانوا يقعون عنده فيهم فينهاهم، وإذا نقلوا عن إنسان عيبا يقول من المعصوم إنما الكمال من تعد ذنوبهﭫ[135] ويصفه في مكان آخر }بلغني أن بعض أكابر الأمراء حسد قطب الدين النيسابوري* الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه من خراسان وبلغ في إكرامه الإحسان إليه فحسده ذلك الأمير فنال منه يوماً عند نور الدين فقال له يا هذا أن صح ما تقول فله حسنة تغفر كل زلة وهي العلم والدين فقال له: يا هذا إن صح ما تقول فله حسنة تغفر كل زلة وهي العلم والدين، وأما أنت وأصحابك ففيكم أضعاف ما ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها، ولو تقلت لشغلك عيبك عن غيرك وأنا أحتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم أفلا أحمل سيئة هذا مع وجود حسنته، على أنني والله لا أصدقك فيما تقول وإن عدت ذكرته أو غيره بسوء لأؤدبنك فكف عنهﭫ[136].

ويزيد ابن عساكر تعظيم نور الدين للمتعلمين والمعلمين بقوله: }فلقد أحسن إلى العلماء وأكرمهم وقرب المتدينين واحترمهم، وتوخى العدل في الأحكام والقضاياﭫ[137]. ويضيف ابن عساكر بياناً آخر فيقول: }وحصل الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلابها، وأقام عليها الحفظة من نقلها وطلابها وأربابها، وجدد كثيرا من ذي السبيل، وهدى بجهده إلى سواء السبيلﭫ[138]. ويصفه في مكان آخر: }ونصب جماعة من المتعلمين لتعليم يتامى المسلمين، وأجرى الأرزاق على معلميهم وعليهم وبقدر ما يكفيهم، كذلك صنع لما ملك سنجار وحران والرها والرقة ومنبج وشيراز وحماه وحمص وبعلبك وصرخذ وتدمر، فما من بلد إلا وله فيه حسن اثر، وما من أهلها أحد ألا نظر له أحسن نظرﭫ[139]. ويضيف ابن عساكر }روى حديث المصطفى ﷺ وأسمعه وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ورجاء أن يكون ممن حفظ على الأمة أربعين حديثاً كما جاء في الحديث*، فمن رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبة الملك ما يبهره، فإذا فاوضه رأى من لطافيه وتواضعه ما يحيرهﭫ[140].

ويروي صاحب وفيات الأعيان: أن نور الدين بعد هزيمته في حصن الأكراد وعودته إلى حمص أنفق أموالاً كثيرة أنفقها على جيشه فقال له بعض أصحابه: }إن في بلادك إيرادات وصدقات وصلات على الفقهاء والصوفية والقراء، ولو استعنت بها في هذا

الوقت لكان أصلح فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: إني لا أرجو النصر إلا بأولئك، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا يخطئ، وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا بسهام قد تصيب وتخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهمﷺ[141].

وكان نور الدين ينفق على العلماء بسخاء ويقول: }هؤلاء جند الله، وبدعائهم ننصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا{ﷺ[142].

ويصف ابن جبير في رحلته إلى دمشق رعاية المتعلمين ودور العلم في عهد نور الدين للغرباء وخاصة طلاب العلم }إنه كان عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية في الجامع المبارك– مسجد دمشق– حيث أوقف أوقافاً كثيرة، منها طاحونتان وسبعة بساتين وأرض بيضاء وحمام ودكانين بالعطارين{ﷺ[143]، وقد تعجب ابن جبير من هذه الرعاية إلى درجة حث فيها طلاب العلم وخاصاً من أبناء قومه بالإسراع إلى الذهاب إلى دولة نور الدين وقال: }ومرافق الغرباء في هذه البلدة أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل، والمنتمين للطلب. فالشأن بهذه البلدة– دمشق– لهم عجيب جداً. وهذه البلدة المشرقية كلها على هذا الرسم لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر والاتساع أوجد، فمن شاء الفلاح من مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور والمعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمور المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها. فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى ذلك الاجتهاد ولا عذر للمقصر إلا من يدين بالعجز والتسويفﷺ[144]. ولم يقتصر التعليم على التعليم الديني بل هناك من يريد أن يتعلم حرفاً حيث يقول ابن جبير: }إن كان طالباً وجد المدرسة التي تعلمه وتؤويه، وإن كان صانعاً وجد الدكان الذي يعلمه الحرفة التي يريدها[145]؛ ولقد عين لهؤلاء الغرباء مخابز خاصة تصرف لكل غريب أو فقير لي اليوم رغيفين من الخبزﷺ[146]. ويحث ابن جبير أصحاب الكفاءات إلى الرحيل إلى دمشق لأنهم سيلقون ترحيباً من نور الدين }وإن شاء أحد المتعلقين بأسباب المعارف التعرض هناك للسلطان يقابله ويكرمه ويرتبه ويجري عليه بحسب قدره ومنصبهﷺ[147].

وكانت بلد الشام خالية من العلم وأهله وفي زمانه صارت مقراً للعلماء والفقهاء والصوفية[148].

مجالس أهل العلم

لقد رعى نور الدين رجال العلم وأهل الدين وأصبحوا في منزلة عالية عنده فعلى سبيل المثال لا الحصر لأنهم كثر ولا يسع المجال لذكرهم كلهم بل نكتفي بسرد بعضهم وإبرازهم فمنهم الشيخ حياة بن قيس[149] الذي كان يستشيره نور الدين في حرب الفرنج فقوى عزمه ودعا له؛ وكذلك كمال الدين الشيروزي[150]، الذي كان رسول عماد الدين زنكي إلى بغداد ثم انتقل إلى دولة نور الدين وتولى تعيين القضاة، وترقى إلى درجة الوزارة وحكم بلد الشام[151].

والقاضي أبو عصرون حيث ولاه نور الدين القضاء في دمشق وقضاء حران وسنجار ووصفه ابن كثير بأنه من الصالحين والعلماء العاملين[152] وكذلك ولد كمال الدين الشهرزوري محيي الدين حيث وصفه أبو شامة }وكان حاذق في تنفيذ الأحكام وإليه أمور الديوان وهو ذو المكان والإمكان في بسط العدل والإحسان ومحيي الدين ولده ينوب عنه في القضاء بحلب وبلدانها وينظر في أمور ديوانها بحماه وحمصﮋ[153]. أما محيي الدين فقد كان من أهل الفضل وله نظم وخطب وشعر[154]، وكذلك أظهر نور الدين مدى حبه أهل العلم ومعاشرته لهم حيث يقول أبو شامة في ذلك }وكان في الموصل رجل صالح يعرف بعمر الملاء سمي بذلك لأنه كان يملأ تنانير الجص بأجرة يتقوت بها وكل ما عليه من قميص ورداء وكسوة وكساء قد ملكه سواء، فلا يملك ثوبه ولا إزاره، وكان له شيء فوهبه لأحد مريديه، وهو يتجر لنفسه فيه، فإذا جاء ضيف قراه(*) ذلك المريد وكان ذا معرفة بأحكام القرآن والأحاديث النبوية، وكان العلماء والفقهاء والملوك يزورونه في زاويته ويتباركون بهمته ويتيمنون ببركته، وله كل سنة دعوة يحتفل بها يحضر فيها صاحب الموصل ويحضر الشعراء وينشدون مدح رسول الله ﷺ في ذلك المحفل، وكان نور الدين من أخص محبيه يستشيره في حضوره ويكاتبه في مصالح أمورهﮋ[155]. وكان نور الدين ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر الملا شيئاً يفطر عليه وكان إذا قدم الموصل لا يأكل إلا من طعام الشيخ عمر[156].

وكان نور الدين يجلس أمام العلماء والشيوخ مثلما يجلس الأفراد العاديين[157] وكذلك من العلماء الذين حظوا عند نور الدين بتقدير أسعد بن المنجى[158] حيث ولاه نور الدين القضاء في حران، ومن العلماء الذين كرمهم نور الدين وقربهم إليه علماء في التاريخ

وأخبار الأمم والأدب منهم العماد الأصفهاني الذي جعله من خاصة مجلسه وخدم بالإنشاء وكان ينشئ بالفارسية وأيضا أنفذه نور الدين إلى الخليفة المستنجد[159] رسولاً وكان أمام البلغاء وشمس الشعراء وقطب الفضلاء، أشرقت أشعة فضائله وأثارت، وأنجدت الركبان بأخباره[160]. وكان جامعا للفضائل: الفقه والأدب والشعر الجيد، وله اليد البيضاء في النثر والنظم[161].

وكذلك من العلماء الذين قدرهم نور الدين وأكرم نزولهم حامد بن محمود[162] الذي ولاه قضاء حران والتدريس في مدرستها وكان كما قال عنه ابن رجب في طبقاته }وكان نور الدين محمود يقبل عليه وله حسن الظنّ[163] وقد رحل إلى بغداد ودرس على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد قبل تولي قضاء حران بشرط أن يترك نور الدين المظالم والضمانات وتوارث ذوي الأرحام، فأجابه إلى ذلك[164].

ومن العلماء الذين قربهم نور الدين حتى صار عنده كبير المحل، كثير الفصل، صحيح العقيدة، رجيح العقل، كشمول الشمائل حلوها، مقبول الفضائل هو القاضي شمس الدين[165] الذي كان قاضي العسكر أواخر عهد نور الدين ثم أصبح عند صلاح الدين أمين خزانته[166].

ومن العلماء الذين رعاهم نور الدين الحسين بن محمد[167] المعروف بالنجم حيث سأله نور الدين عن لبس خاتم في يده كان فيه لوزات من ذهب فقال له تتحرز من هذا وتحمل إلى خزينك من المال الحرام في كل يوم كذا وكذا وأن نور الدين أمر بتبطيل ذلك[168].

المبحث الثاني- تكريم العلماء من أهل العلوم الأخرى

لم يقتصر اهتمام نور الدين على العلماء الشرعيين وأهل الديوان بل امتدت رعايته إلى بقية أهل العلوم الأخرى منها الطب والأطباء فعلى سبيل المثال الطبيب أبو الفضل بن أبي الوقار[169] حيث كان لا يفارق نور الدين في السفر والحضر[170]، والطبيب مهذب الدين النقاش[171] الذي كان أوحد زمانه في صناعة الطب وكان أيضا يعتني بكتابة الإنشاء، وكتب كثيرا لنور الدين المراسلات والكتب إلى سائر النواحي وكان مكينا عنده وخدم بصناعة

الطب الملك العادل نور الدين وخدم أيضا بالمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين بدمشق وكان كذلك أديبا وله وكانت وفاته في عام 574هـ ودفن بدمشق[172].

وكذلك من الأطباء الذين رعاهم نور الدين: أبو المجد بن الحكم[173] الذي تكلمنا عنه في ما سبق حيث كان من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين وتميز في علم وعمل الطيب وصار من أكابر أهله، وكان نور الدين يعرف مقدار علمه وفضله ويرى له مكانته ويحترمه ولما أنشأ نور الدين المارستان الكبير في دمشق جعل له أمر الطب فيه، وأطلق له جاميكية وجرية، وكان يتردد إليه ويعالج المرضى فيه[174].

ولم يقتصر اهتمام نور الدين على الأطباء المسلمين بل امتد كذلك إلى غير المسلمين من الأطباء سكرة الحلبي[175] اليهودي حيث أكرمه نور الدين وأعطاه عشرة فدادين خمسة في قرية صمع وخمسة في قرية عندان عندما عالج هذا الطبيب احد جواري نور الدين.

وكذلك اهتم نور الدين وأكرم الشعراء ومنهم أحمد بن منير الطرابلسي[176] اتصل بنور الدين في أواخر عمره وأكرمه نور الدين ووافى إلى جلق رسولا قبل استيلائه عليها وتملكه لها، وارتدى عنده من الوجاهة والكرامة حللها[177] وكان شعره كما وصفه العماد الأصفهاني }شعره ككنيته حسن، ونظمه كلقبه مهذب، ارق من الماء الزلال، وأدق من السحر الحلال، وأطيب من نيل الأمنية، وأعذب من الأمان من المنية{[178]، ويصفه في مكان آخر }محاسن ظرفه وانصرف قلب الارتياح إلى مزج صرفه، ولم ينحرف مزاج الاعتدال باعتلال حرفه[179].

واكرام الشاعر محمد بن نصر 180 الذي قدم حلب ومدح نور الدين بقصيدة طويلة وجميلة من مطالعها:

أبـــدى الســـلو خديعـــة للائـــم وحنـــا الضـــلوع علـــى فـــؤاد هـــائم

ورأى الرقيب يحل ترجمة الهوى فاســتقبل الواشـــي بثغـــر باســـم[181]

وقال عنها عماد الأصفهاني }قصيدة استحسنتها في فنها، لسلاستها في نظمها ورويها ووزنها فكأنها عروس أبرزت من كنها، أو ديمة وطفت من مزنها أو روضة أنف في حسنها[182] وكذلك أصبح ذات منزلة عالية عند نور الدين وصار متصرف أمور الدولة

النورية[183] وله قصيدة يهنئ نور الدين على استقرار أمر دمشق وأسر جوسلين وفتح عزاز وقتل الابرنس صاحب أنطاكيا وهي قصيدة طويلة في مطلعها:

ليهن دمشقا أن كرسي ملكها حبى منك صدرا ضاق عن همه الصدر

وإنك نور الدين مذ زرت أرضها سمت بك حتى انحط عن نسرها النسر[184]

وكذلك ورد شعر لابن عساكر يمدح فيه نور الدين حيث يقول الأصفهاني: }ومما انشدنه لنفسه، وقد أعفى الملك نور الدين قدس الله روحه، أهل دمشق من المطالبة بالخشب، فورد الخبر باستيلاء عسكره على مصر، فكتبه إليه يهنئ وأملاه علي في الثاني والعشرين من جمادي الأول سنة أربع وستين وخمسمائة:

لما سمحت لأهل الشام بالخشب عوضت مصر بما فيها من النشب

وأن بذلت لفتح القدس محتسبا للأجر جوازت(★) خيراً غير محتسب

وكذلك حضي ابن النقار الدمشقي[185] عند نور الدين ولاه كتابة الإنشاء بدمشق وقد أدرك المائة عندما قابله الأصفهاني ووصفه انه كان مليح الخط حلو فصيح الكلام صفوه، وله نظم مقبول وشعر معسول ومن شعره:

الله يعلم أنني ما خلته يصبو إلى الهجران حين وصلته

من منصفي من ظالم متعتب يزيد ظلما كما حكمه

ومن الكتاب الذين كانت لهم عند نور الدين احترام ورعاية وتقدير ابن الزغلية[186] الكاتب من أهل دمشق الذي وصف في خريدة القصر }وكان يكتب كل سنة لنور الدين مصحفاً ويصبر ببره في صرف الصروف عنه متصرفاً، خطة كالروض الآنف، والوشي المفوف، والعذر المقتض عذره الهوى العذري والزلال الصافي لعين الحائم عند رؤيته في طلب الري. رأيته وقد نيف على السبعين وتوفي في دمشق في شهر رمضان سنة إحدى وسبعينج[187]، وله قصيدة في مدح نور الدين وكان نقد أهدى إلى نور الدين مصحفاً بخط يده:

يا جنة أن رماني سهم حادثة وجنة لي أن خوفت بالنار

وفي القناعة لي عز أصول به لكن عائلتي يهدونا يساري

وكذلك من الشعراء الذين اشتهروا ومدحوا نور الدين ابن قسيم الحموي[188] الذي وصف في خريدة القصر }وحد للدهر فريد العصر، ذو رقة للقلوب مسترقة للعقول، ولطيف للب سالب، وللخلب خالب، وللصبر غالب، ولدر البحر جالب، ولدر الفكر حالب، وفي عقد السحر بعقود نافث، وبنسيم الحرفي نسيبه عابثɛ[189].

ومن قوله في مدح نور الدين:

قف حيث تختلس النفوس مهابة ويغيض من ماء الوجوه معينه

فمن لمهنده الرقاق لبوسه ومن المثقفة الدقاق عرينه[190]

ومن الذين أكرمهم نور الدين ابن رواحه الحموي[191]، الذي قال عنه الأصفهاني }شعر ابن رواحة روح الشعر وروح السر وريحان أهل الأدب، وراحة ذوي التعب، معنى لائق، وكلام فائق، وأسلوب موافق، سمح الغريزة سهل النحيزة معسول الكلام معسول الحكمɛ[192]، وكان يتردد على نور الدين أكرمه نور الدين غاية الكرم[193]، وأكرم نور الدين القاضي أبو اليسر شاكر[194]، الذي كان من منشئي نور الدين وتولى ديوان الإنشاء إلى أن كبر عمره وطلب من نور الدين إعفاءه فعفاه وكان شاعرا، من شعره:

كيف أمسيت بعد شرب الدواء يا سبيل الإبدال والنجباء

دفع الله عنك ما تتوخى من جميع الشرور والأدواء[195]

ومن الذين أكرمهم هذا السلطان وجعلهم من خواصه وكان في منزلة عليا عنه حتى أنه كان على خزائن المال هو القاضي الأعز أبو البركات[196] وكان كما وصفه العماد الأصفهاني }كان أمينا على خزانة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن اق سنقر وهو عدلها، وبيده عقدها وحلهاɛ[197] ومن شعره الذي ذكره العماد في وصف رحيله من حلب إلى مصر:

رحلت بقلبي عنكم غير راحل وعشت بعيش بعدكم غير طيب

ومن الشعراء الذين برعوا في ذلك العصر وقصدوا نور الدين علم الدين الشاتاني[198] يمدح نور الدين في قصيدة:

ما نال شأوك في المعالي سنجر كلا ولا كسرى ولا الاسكندر

يا خير من ركب الجياد وخاض في لجج المنايا والأسنة تقطر

نور الدين ومؤلفو الكتب والعلوم:

لما كان نور الدين حريصا على نشر العلم واهتمامه بالعلماء فمن الطبيعي أن يشجع التأليف وقد أهدى الكثير من كتاب عصره إلى نور الدين مؤلفاتهم فقد أهدى ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق إلى نور الدين ويصف ابن عساكر ذلك بقوله }ورقي خبر جمعي له- أي تاريخ مدينة دمشق- إلى الملك العادل وبلغني تشويق إلى استنجاز الاستتمام فراجعت العمل به راجيا الظفر بالتمامƸ[199].

وقد أهدى له مجد الدين الحلبي[200] كتابا سماه البحر النوري فيه أحاديث العدل والجهاد ومواعظ وغير ذلك[201]، وكذلك صنف نور الدين كتابا في فضل الجهاد وهو بدمشق[202].

الفصل الثالث
المبحث الأول
رعاية دور العلم

إن عصر نور الدين قد شهد بحق ازدهاراً كبيرا و هو يعبر عن خطة نبأناها هذا السلطان بهدف نشر المعرفة بين أفراد الشعب إذ كانت رعايته لدور العلم كما وصف إبن عساكر }وأدر على الضعفاء والأيتام الصدقات، وتعهد ذو الحاجة من أولى التعفف بالصلات حتى أوقف وقفا على المرضى والمجانين أقام لهم الأطباء والمعالجين، وكذلك جماعة العميان، ومعلمي الخط والقران، وعلى ساكني الحرمين، ومجاوري المسجدين، وإكرام أمير المدينة، وأحسن إليه، أجرى عليه الضيافة لما قدم عليه وجهز معه عسكرا لحفظ المدينة، أقام لهم بما يحتاجون إليه من المؤونة وأقطع أمير مكة إقطاعا سنيا و أعطى كلا منهما ما يأكله هنيا مرياƸ[203] ويضيف }ووضع على الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس، وأقطع أمراء العرب الإقطاعيات لئلا يتعرضوا للحجاج، أمر باكمال سور المدينة، وإستخرج العين التي بأح *وكانت السيول دفنتها. ودعي له بالحرمينƸ[204].

ولعل من مفاخر هذا السلطان بناء المارستان في دمشق الذي لم يبن في الشام مثله ولا بعده أيضا على تعبير إبن كثير[205] وكانت قصة هذا المارستان أن نور الدين أسر ملكا من ملوك الفرنج فبذل هذا الملك مالا عظيما لفداء نفسه وقد أشار الأمراء على نور الدين أن يقتل هذا الملك ولا يأخذ المال ولكن نور الدين أصر على أخذ المال ففدى نفسه بـ(ثلاثمائة) ألف دينار فأطلقه نور الدين فلما وصل إلى بلده مات وطلب الأمراء سهمهم

فقال ما تستحقون شيئا لأنكم أشرتم بغير الفداء وقد جمع الله تعالى بين المستحبين الفداء وموت اللعين فبنى بذلك المارستان الذي بدمشق والمدرسة ودار الحديث وأوقف عليها الأوقاف[206].

وقد وقف نور الدين هذا المارستان الذي بدمشق على الفقراء دون الأغنياء اللهم إلا إذا لم يجد الأغنياء دواء لعللهم ألا في هذا المارستان وعلى هذا الأساس شرب نور الدين نفسه من دوائه[207].

ولما أنشأ نور الدين هذا المارستان جعل أمر الطب فيه للعالم أبى المجد[208]، أطلق له جامكية وجراية[209]، وكان ابن المجد يتردد إلى هذا المارستان لمعالجة المرضى فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة أو التدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى على ذلك؛ وهكذا حتى ينتهي أبو المجد من طوفه على المرضى فيذهب إلى مكتبة المارستان ليخرج الكتب ويقرأ وحوله بقية الأطباء. ولا يزالون في اشتغال ومباحثة طول ثلاث ساعات كاملة؛ وقد خصص نور الدين الإيوان الشرقي من هذا المارستان لتعليم الطب وكانت له خزانة كبيرة للأشربة تحتوي على صنوف الأدوية والعقاقير والمراهم[210].

أما أبو شامة فقال عن المارستان }ومن أعظمها المارستان الذي بناه بدمشق فأنه عظيم كثير الخراج جدا بلغني أنه لم يجعله وقفا على الفقراء حسب بل كافة المسلمين من غني وفقير{[211] ويضيف }وقد وقفت على كتاب وقفة فلم أره مشعرا بذلك؛ إنما هذا كلام شاع على السنة العامة لنفع ما قدره الله من مزاحمة الأغنياء للفقراء فيه. والله المستعان، وإنما صرح بان ما يعز وجوده من الأدوية للكبار وغيرها لا يمنع منه ما احتاج إليه الأغنياء والفقراء، فخص ذلك بذلك فلا ينبغي أن يتعدى إلى غيره؛ لاسيما وقد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمنقطعين فقال بعد ذلك، من جاء إليه مستوصفا لمرضه أعطي، وروي أن نور الدين شرب من شرب المارستان فيه، وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف: من جاء إليه مستوصفا لمرضه أعطي، والله أعلم{[212]. ويصف إبن جبير في رحلته دمشق }وبها مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلهما وأكبرهما، وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارا، وله بايديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك والأطباء يبكرون إليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم. والمارستان الاخر

على هذا الرسم. لكن الاحتفال في الجديد أكثر، وهذا القديم هو غربي الجامع المكرم، وللمجانين المعتقلين أيضا ضرب من العلاج[213]. ويصفها إبن جبير }وهذا المارستان مفخر عظيم من مفاخر الإسلام[214]. وظلت هذه المارستان عامرة وظلت النار مستمرة ولم تخمد فيها الا عند احتلال دمشق من قبل تمولنك[215][216].

المبحث الثاني
رعاية دور العلوم الشرعية

لما كان نور الدين مجاهدا وراعيا للعلماء وحريصا على تكريمهم ومعرفة قدرهم وسعيه لبث روح الجهاد في رعيته كان لابد له من رعاية دور العلم وجعلها قاعدة لانطلاق الهمم وروح الجهاد لتحرير الأرض المغتصبة من قبل الفرنج وكان أول شيء إهتم به نور الدين هو علم الحديث حيث أنه أنشأ في دمشق دارا للحديث التي تعد أول دار حديث في الإسلام وجعل عليها أوقافا كثيرة[217].

وقد بنى هذه الدار لـ(ابن عساكر) وجعله محاضرا فيها وسميت فيما بعد بدار الحديث النورية وهي أول مدرسة أنشئت في الإسلام لتعليم الحديث وكان نور الدين يحضر حلقات التدريس له فيها. كما كان السلطان صلاح الدين يحضر مجلس ابن عساكر وظلت هذه المدرسة بيد ابن عساكر بعد وفاة نور الدين هو وأولاده وقد تخرج من هذه الدار وأخذ عن شيوخها كبار العلماء والمؤرخين والمحدثين في القرنين السادس والسابع للهجرة؛ كابن الاثير الجزري والمقدسي والمزي وإبن كثير والنووي والذهبي والحسيني وإبن تيمية وإبن قيم الجوزية وغيرهم[218].

وكذلك اهتم نور الدين بخاقانات الصوفية حيث يقول إبن جبير في رحلته (ومن أعظم ما شاهدنا* لهم موضع يعرف بالقصر، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء؛ وفي أعلاه مساكن لم أرى أجمل أشرافا منها وهو من البلد بنصف ميل له بستان عظيم يتصل به، وكان منتزها لأحد الملوك الأتراك، فقيل أنه كان فيه أحد الليالي على راحلة، فاجتاز به قوم من الصوفية**، فريق عليهم من النبيذ الذي كانوا يشربونه في ذلك القصر فرفعوا الأمر إلى نور الدين، فلم يزل حتى إستوهبه من صاحبه ووقفه برسم الصوفية مويدا لهم. فطال من السماحة بمثله، وبقى أثر الفضل فيه مخلدا لنور الدين رحمه الله)[219]. وأوقف على

أصحاب منان بن محمد مزرعة بحرين وبعث لهم بعشرة آلاف درهم ومائة حمل خشب وأوقف عليهم الربط، الخانقاة المعروفة بخانقاة الطاحون بالوادي[220].

وإهتم بعمارة المساجد وبنائها لأنها كانت تمثل في ذلك الوقت دور العلم ومنها كان طالب العلم وفيها كان يجلس العلماء ويجرون فيها حلقاتهم وقد بنى نور الدين في الموصل جامعا؛ أنفق عليه ستين الف دينار[221]؛ ويقول إبن قاضي شهبة جاوز ثلاثمائة الف دينار[222] وكان هذا الجامع في غاية النهاية إلى الحسن والاتقان ومن أحسن ما عمل فيه أنه فرض عمارته والخروج عليه إلى الشيخ عمر الملاء وهو رجل من الصالحين فقيل له أن هذا لا يصلح لهذا العمل، فقال: إذا وليت العمل بعض أصحابي من الأجناد والكتاب أعلم أنه يظلم في بعض الأوقات ولا يفي الجامع بظلم، رجل مسلم وإذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني أنه يعدل ولا يظلم، فإذا ظلم كان الإثم عليه لا علي. وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم.[223]

وأنشأ نور الدين الجامع في وسط الموصل في خربة واسعة أشيع أن ما شرع في عمار هذه الخربة ألا أذهب الله بصره ولم يتم له مراده، فأشار الشيخ عمر على نور الدين بابتياعها ورفع بنائها جامعا تقام فيه الجمع والجماعات ففعل وأنفق فيه أمولا كثيرة ووقف عليه قيسارية كبيرة[224]؛ وتعد منارته– الحدباء– وهي أطول منارة في العراق يبلغ ارتفاعها 55 مترا تمتاز بزخارفها الآجرية الفاخرة، وتعرف الآن باسم الجامع الكبير[225] وتم البناء في ثلاث سنين. ولما توجه نور الدين إلى الموصل، دخل عليه عمر الملاء وهو جالس على نهر دجلة فترك بين يديه دساتير الخراج على الجامع، وقال }يا مولانا أشتهي أن تنظر فيهاً[226]، فقال له: يا شيخ نحن عملنا هذا لله، دع الحساب ليوم الحساب، ثم رمى الدساتير في دجلة[227]. وبنى جامع حماه على نهر العاصي وهو من أحسن الجوامع وأنزهها[228]، وجامع الرها وجامع منيج[229].

أما المساجد التي بناها نور الدين في دمشق فهي كثيرة منها مسجد الكوشك الذي كان دارا فبناه نور الدين مسجداً وبنى له منارة، وجعل له أماماً ومؤذناً ووقفاً[230]، وبنى مسجداً معلقاً فوق كنيسة اليهود وبنى له منارة[231]، وجدد مسجد في سوق الغزل فيه شجرة توت وعنده سقاية يعرف بأصحاب الشافعي[232]، وكذلك جعل نور الدين سقاية عند باب مسجد الخبيق[233] ومسجد في مدرسة في الخواصين[234]، وبنى مسجداً عند المدرسة النورية

التي داخل باب الفرج[235]، وكذلك بنى مسجداً في المدرسة التي جعلها للمالكية في حجر الذهب[236] وبنى مسجداً في قلعة دمشق في منارة وبركة وعلى بابه سقاية وله أمام ومؤذن ووقف[237].

ومسجدا في الدركاة لطيف سفل[238]، ومسجدا المائدة والحجر في طريق الفياض[239]. ومسجد عند عقب جسر باب الحديد[240]، ومسجد المارستان النوري الجديد[241]، مسجد منشام النهر من قبلة الميدان وهو مسجد صغير[242]، ومسجدا في مواضع المعروفة بقية مورود[243]، ومسجداً في علو الرحى في الربط وقفه نور الدين[244].

ويذكر أبو شامة }أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي تليه نصفه على تطييب جامع دمشق* والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطييب المدرسة التي أنشأها للحنفية، والثمانية أجزاء الأخرى على تطييب المساجد التسعة، وهي مسجد الصالحين في جبل قسون وجامع القلعة، ومسجد عطية، ومسجد ابن البيد بالعسقار ومسجد الرمحين المعلق ومسجد العباس بالصالحية، ومسجد دار الطبخ المعلق، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود، لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشرة جزء من النصف{[245].

وكذلك أمر نور الدين بعمارة جامع داريا في عام 565هـ بعد أن أحرقه الفرنج لما نزلوا على داريا أيام مجير لدولة آبق[246]، فعمره نور الدين وجعله وسط البلد وعمر بها مشهد أبي سليمان الدارني[247].

حيث كانت هذه المساجد مراكز تعليمية ركزت على بث الروح الإسلامية من جديد وركزت على تجفيف التعاليم والمذاهب الإسماعيلية الباطلة[248].

ولم يقتصر اهتمام نور الدين على الجوامع فحسب بل اهتم ببناء المدارس التي كان لها الدور العظيم في نشأت هذا الجيل الذي ساهم في فتح القدس[249]حتى أن نور الدين وصف هذه السياسة في قوله }ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة وإظهار الدين{[250].

فعلى سبيل المثال المدارس التي بناها نور الدين المدرسة النورية في حجر الذهب التي كانت وقفا على المالكية في دمشق[251]، ومدرسة اكر في طرف اللبان[252]، ومدرسة في القبابين بقرب الخواصين[253]، ومدرسة مسجد الراجين غربي الجامع جعلها نور الدين

مدرسة لأصحاب أبو حنيفة ﷺ[254]، وكان في الأصل كنيسة عظمة يقال أن هيلانة ملكة القسطنطينية بنتها فجعلها أبو الفضل ابن الخشاب مسجد وجعلها نور الدين مدرسة[255]، وكذلك جعل مدرسة في مقام التحتاني[256]، حيث انه كان كنيسة للنصارى أيام بني مرداس وأصبح مسجدا وجدد نور الدين عمارته ووقف عليه الأوقاف الحسنى ورتب فيه مدرساً يدرس على المذهب الحنفي[257]، وكذلك لم يقتصر اهتمام نور الدين على المذهبين السابقين بل اهتم كذلك بمذهب الشافعي حيث أنه جعل بمسجد الغضائري داخل باب إنطاكية وأصبح يعرف بمسجد شعيب[258]، لان نور الدين أوقفه عليه وجعل شعيبا يقرئ الناس الفقه على المذهب الشافعي[259] وكذلك اهتم نور الدين بالمذهب الحنبلي حيث أوقف الزاوية التي في المسجد الجامع بحلب على ابن الصائغ الحنبلي[260] عندما قدم حلب كانت للحنابلة حيث درس بها المذهب الحنبلي وكذلك أعطاه التدريس بالمدرسة النورية بحران بعد أن انتقل بها[261] وكان نور الدين قد أكثر الوقف على مدرسته حتى أوقف عليها كتباً كثيرة[262] وبنى نور الدين مدرسته في سوق الخواصين وجعلها للحنفية وفيها قبر، أنشأ نور الدين مدرسة في جامعه في الموصل وبنى نور الدين مدارس من أجل أبي عصرون[263] بحلب وحماه وحمص وبعلبك، وبنى أيضا المدرسة الصغيرة التي عند نهر يزيد المجاور للدير[264] وبنى مدرسة من أجل أبي الحجر تقي الدين بحران[265] وكذلك ولاه عمارة الجامع في حران وبنى المدرسة الصلاحية بقرب المارستان النوري وهي تنسب إلى صلاح الدين الأيوبي[266] وبنى مدرسة العمادية داخل باب الفرج والفردوس لصيق المدرسة الدماغية[267] ومن قبله بناها نور الدين برسم خطيب دمشق أبى البركات عبد الحارثي وهو أول من درس بها[268] وتعرف بعمادية السكن عماد الدين الأصفهاني[269] فيها[270] وكانت للشافعية[271] ومدرسة النورية الصغرى للحنفية، ولم يعلم من درس بها زمن نور الدين.

أما المدارس التي لم يكمل نور الدين بناءها لسبق المنية المدرسة العادلية حيث شرع نور الدين ببناء هذه المدرسة للشافعية بقرب الجاروخة فمات وقد وضع المحراب وبعض البنيان[272] وكان هذا في عام 568هـ[273].

وأكمل المدرسة العاجل أبو بكر بن أيوب[274] وأراد نور الدين ان يبني في العادل بغداد مدرسة على نهر دجلة ويقف عليها قريتين[275] فأدركه الأجل[276].

ولم يقتصر بناء دور العلم على نور الدين فقط بل كذلك اهتم أقاربه وأمراؤه فمنهم زوجته عصمة الدين[277] التي أوقفت المدرسة الخاتونية بمحلة حجر الذهب بدمشق على الحنفية[278] والخانقاه الخاتونية التي على بانياس[279] وكانت من اعف النساء وأجلهن وأوفرهن حشمة[280] وأكبرهن صدقة[281] وبنى اكز[282]، وبنى خادم نور الدين ريحان الطواشي في عام 565 للمدرسة الرحانية[283].

وبنى أخو نور الدين؛ سيف الدين غازي المدرسة الاتابكية العتيقة ودفن فيها بعد وفاته عام 5444هـ، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية وأوقف عليها الوقف الكثير[284]؛ ومدرسته من أحسن المدارس[285].

الخاتمة

إن أهم ما توصل إليه الباحث من خلال بحثه أن أسرة نور الدين لم تكن معروفة على مسرح الأحداث التاريخية والسياسية وكان أول ظهور لها في عهد جد نور الدين آق سنقر وبرزت هذه الأسرة واستطاعت أن تكون لها دوراً في أحداث التاريخ وإن تحقق الكثير من الإنجازات منها ما قام به زنكي من تحرير الرها من الفرنج وكذلك ما قام به نور الدين من إنجازات عظيمة منها توحيد المشرق الإسلامي من اجل محاربة الفرنج وتحرير حارم وكذلك رعايته العلماء ودور العلم ورغم ذلك لم يكن سوى رجل متواضعاً سمحاً رغم ما عرضت له الدنيا ووصفه الكثير من المؤرخين أنه كان زاهداً عفيف البطن والفرج ولم يسرد الباحث هذه الرؤيات بسبب كثرتها وتكرارها واكتفى بالإشارة المهم منها؛ وان دراسة سيرة هذا القائد العظيم يفوق الطاقة وانا عاجز عن وصف ما قام به وما فعله حيث لو تكلم عنه مؤلفات كثيرة ما وفت حقه وعلى المتتبع لسيرة هذا القائد أن يستفيد من حياته وأعماله لأنها تكاد نفسها التي يتعرض لها العالم الإسلامي اليوم من ضعف وغزو فكري وعسكري وعقائدي وإن يحلل السبب ليعرف الحل فهذا القائد عرف السبب فعرف الحل حيث أدرك أن نهضة المسلمين لا تكون بجميع الجيوش وقوة أسلحتها بل لا بد قبل هذا أن ينهض بالأمة وإن يرفع شأنها بالعلم والعلماء لهذا استطاع هذا القائد أن يضع الأساس الذي استطاعت الأمة به أن تحرر أرضها وقدسها فإذا كان هو الأساس فان الذين جاءوا بعده ما قام به

فإذا كان هو البذر فإن صلاح الدين هو الماء الذي أنمى هذه البذرة والمسلمين قطفوا ثمار هذين القائدين.

وقد رأى الباحث أن أفضل وصف لحياة نور الدين كما وردت في كتاب أمراء دمشق في الإسلام حيث قال في قصيدته **(ولاية نور الدين الشهيد)**.

ثم تولى الآمر نور الدين ... وأصبحت في عقدة الثمن
أول بانٍ للحديث داراً ... وابن الأثير قال ذا فسارا
وكان ملكاً عادلاً فقيهاً ... يغدو على السنة
فما حوت من بعد ذا فواحشا ... وسكنت جأش الفجور الجائشا
طاهرة من دنس الآثام ... محسودة الأيام والأنام
أتم دور سورها سوارا ... بمعصم في عصمة توارى
وعمر المدارس الظريفة ... وقفاً على رأي أبي حنيفة
ومارس العليل مارستان ... فحصت الأديان والأبدان
آما رأيت الربط والزوايا ... ضمت خبايا الحسن في الحنايا
واسقط الباطل في المكوس ... فارتفع الحق على الرؤوس
حتى غدت آمنة النواحي ... ثغورها تبسم عن أقاحي
وشيركوه كان فاسمع راغباً ... أيام نور الدين فيها نائباً
كذا صلاح الدين كان شحنه ... لأنه استجاد منه ذهنه
وبعد نور الدين إسماعيل ... قام وما سعده دليل[286]

وهذا آخر ما سمحت به القريحة وأبرزه العقلُ بفضل الله والحمد لله رب العالمين أولاً وأخيراً.

الهوامش

(1) ابن العديم، كمال عمر بن احمد بن هبة الله (ت 660هـ) بغية الطلب في تاريخ حلب تحقيق: د. سهيل زكي، ط1، مط، دار الفكر، 1988م، 3845/8.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة 569هـ، ص 371.

[3] م، ن، ص 371 لأنه مات بداء الخوانيق.

[4] م، ن، ص 371.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية: 304/12.

[6] الذهبي، سيء أعلام: 531/20.

[7] م،ن: ص521.

[8] م،ص: ص 521.

[9] ابن عساكر، الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة بن عبدالله (ت 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح: محي الدين عمر بن غرامة، مط، دار الفكر، الأولى، 1997م: 4/1.

[10] م، ن ص4.

[11] ابن قاضي شهبة: محمد بن ابي بكر بن احمد الدمشقي (ت 874هـ)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تح محمود زايد، ط1، مط: دار الكتب الجديدة، 1971م، ص 69.

[12] م، ن، ص 69.

[13] ابن خليكان، وفيات الأعيان، 5/ 184، ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 297.

[14] ابن العماد الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي (ت 1098)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتاب العلمية، بيروت، (بلا–ت)، 228/2.

[15] اق سنقير: هو قسيم الدولة ابو سعيد المعروف بالحاجب، واشتهر بإنه أحسن الملوك سيرة واجودهم سريرة للمزيد انظر ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 157.

[16] يذكر ابن خلكان ان آق سنقر كان مملوك عند ملكشاه في حين يروي ابن كثير أنه كان صحبه.

[17] ابو الفتوح ملكشاه بن الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقمان (ت485هـ) اشتهر بالعدل وحسن السيرة للمزيد انظر ابن خلكان ابو العباس احمد بن ابي بكر (ت 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 م، 57/5.

[18] ابو شامة، عبد الرحمن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النووية والصلاحية، تح: محمد بن حسن بن عقيل، مط؛ دار الأندلس الخضراء، جدة 1997م، 1/ 53.

[19] نظام الملك: هو الحسن بن علي بن اسحق، وزير ملكشاه بن الب ارسلان وصاحب المدرسة النظامية في بغداد قتلته الباطنية في عام (ت 485هـ)، للمزيد انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان: 62/2.

[20] مدينة في ساحل الشام تعد من أعمال حمص، ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت 626)، معجم البلدان، 5/5.

[21] ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن حمد (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، مط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، 494/8- 495.

[22] ابو شامة، كتاب الروضتين: 56/1.

[23] بلد عظيم من بلاد فارس في قصبة بلاد فارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 380/3.

[24] ابو شامة، كتاب الروضتين: 96/1.

[25] تتش: هو تاج الدولة بن الب ارسلان صاحب دمشق وغيرها من البلاد (ت 488هـ)، للمزيد انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: 159/12.

[26] طبرية: مدينة من أعمال الأردن، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 17/4.

[27] ابو شامة، كتاب الروضتين، 102/1.

[28] اتابك: لفظت تركية مكونة من مقطعان (التا) معناه الاب بالتركية، و (بيك) الأمير، الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد، ط: الحادي عشرة، بيروت، 2001، 189/20.

[29] حيث خاض عدد من الحروب ضد الفرنج وحقق انتصارات كثيرة عليهم للمزيد انظر: خليل، عماد الدين؛ عماد الدين زنكي، مطبعة الزوراء، الموصل 1985م، 133- 167.

[30] مدينة بين الموصل والشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 61/3.

[31] ابو شامة، كتاب الروضتين: 138/1.

[32] ابن الأثير، الكامل: 341/9.

[33] قلعة على نهر الفرات، ياقوت الحموي: 142/2.

[34] غازي: سيف الدين غازي بن زنكي تملك الموصل بعد أباه وكان محباً للأهل الخير عاش أربعين عاماً (ت 544هـ)، للمزيد انظر الذهبي، سير الإعلام، 20/ 192-193.

[35] أمير أميران: هو نصر الدين أمير أميران بن زنكي استشهد في عام (560هـ) بعد أن أصيب بسهم في عينه وهو يقاتل الفرنج، للمزيد انظر، الذهبي، تاريخ الإسلام، ووفيات

المشاهير وللإعلام حوادث، 511هـ/560هـ وفيات سنة 560هـ، تح: عمر عبد السلام، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت،2001م، ص 300 س.

(36) مودود: قطب الدين مودود بن زنكي المعروف بالأعرج صاحب الموصل (ت 565هـ)، للمزيد انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان: 302/4.

(37) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 15.

(38) أبو شامة، كتاب الروضتين: 93/1.

(39) ابن الأثير، الكامل: 58/10، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 447/1.

(40) ابن الأثير، الكامل: 58/1.

(41) حيث سار صلاح الدين واخذ من الملك إسماعيل دمشق، الذهبي، سير أعلام النبلاء: 111/21.

(42) ابن الأثير، الكامل: 58/10.

(43) ابن كثير، البداية والنهاية: 329/12.

(44) م.ن: 329/12.

(45) ابن الأثير، الكامل: 58/10، ابن كثير، البداية والنهاية: 32/12.

(46) ابن الأثير، الكامل: 58/10.

(47) هذا يدل على مدى احترام وحب صلاح الدين لنور الدين وامتناناً ورداً للجميل الذي كان يحفظه لنور الدين.

(48) أبو شامة، كتاب الروضتين: 213/2، ابن كثير، البداية والنهاية: 315/12.

(49) حيث تعاون معين الدولة آنر مع الفرنج ضد نور الدين، ابن كثير، البداية والنهاية: 235/12.

(50) م.ن، ص: 236.

(51) البرنس: هو ريموند الثالث للمزيد انظر، عاشور: سعيد عبد الفتاح، الناصر صلاح الدين الأيوبي، مط: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1956م، ص 54.

(52) م.ن: ص 54.

(53) حصن كبير من أعمال سيماط، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 497/4.

(54) مدينة في الثغور بين بلد الشام وبلاد الروم، م.ن: 107/5.

(55) عاشور، الناصر صلاح الدين، ص 55.

[56] أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ 246. في حين يروي ابن كثير أنه أسر عام 546هـ. البداية والنهاية، 12/ 305.

[57] ابن كثير، البداية والنهاية: 246/12، ينفرد ابن كثير بتسمية جوسليق في حين بقية المصادر التاريخية تطلق عليه اسم جوسلين.

[58] م.ن، ص 246.

[59] أبو شامة، كتاب الروضتين: 280/1.

[60] ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تعري الاتابكي (ت 784هـ) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، مط: المؤسسة المصري للتأليف والترجمة، القاهرة (بلا– ت): 85/5.

[61] ابن الأثير، الكامل: 398/9.

[62] م.ن: ص 398.

[63] ابو شامة، كتاب الروضتين: 345/1.

[64] تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 40/2.

[65] قلعة حارم: حصن تجاه إنطاكية من أعمال حلب، م. ن: 35/3.

[66] ابن الأثير، الكامل: 9/ 406.

[67] أبو شامة، كتاب الروضتين: 1/ 345.

[68] أبو قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 156.

[69] ابن الأثير، الكامل: 457/9.

[70] شاور: هو شاور بن مجير بن نزار اصبح وزير العاضد بعد الصالح بن رزيك وتمكن من قتله بعد أن ستدعا الفرنج أكثر من مرة للمزيد انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان: 439/2.

[71] ابن كثير، البداية والنهائية: 266/12.

[72] ضرغام: هو ضرغام بن سوار قتله شاور عند مشهد السيدة نفيسة 559هـ للمزيد انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان: 442/2.

[73] أبو شامة، كتاب الروضتين: 416/1.

[74] ابن كثير، البداية والنهاية: 226/12.

(75) بيمند: هو بوهيمود الثالث، شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة.

(76) هو ريموند ثالث، م.ن: ص 604.

(77) الدوك أو الدوق أول مرتبة من مرتبة الشرف عند الفرنج.

(78) ابن كثير، البداية والنهاية: 226/12.

(79) أبو شامة، كتاب الروضتين: 416/1، في حين يروي ابن عساكر في تاريخ دمشق أن القتلة كانوا ثلاثين ألفا.

(80) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 168.

(81) م.ن، ص168.

(82) ابن كثير، البداية والنهاية: 270/12.

(83) م.ن، ص270.

(84) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 173.

(85) م.ن، ص 174.

(86) أي نائب.

(87) العاضد: هو العاضد لدين الله أبو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ، لدين الله عبد المجيد أخر الخلفاء العبدين في مصر ولد عام 540هـ وهلك عام 567هـ للمزيد أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 337/5.

(88) المستضئ: هو المستضئ أبو محمد الحسن بن يوسف بن المقتفي، ولد عام 536هـ ومات عام 575هـ، للمزيد انظر الذهبي: تاريخ الإسلام وفيات 575هـ، ص 166.

(89) م.ن، ص 167.

(90) ابن الأثير، الكامل: 34/10.

(91) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 204.

(92) ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 284.

(93) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن الحسن بن محمد حاول دخول مصر مرتين ففشل هلك عام 334هـ، للمزيد انظر: ابن حماد: محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ، ص 49.

(94) أبو شامة، كتاب الروضتين: 219/2، ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية، ص 207 ﷺ ورضي الله عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق.

(95) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 187/4، ابن كثير، البداية والنهاية: 304/12.

(96) أبو شامة، كتاب الروضتين: 33/1.

(97) ابن قاضي شهبة، لكواكب الدرية: ص 17.

(98) ابن الأثير، الكامل: 51/10.

(99) م،ن: 10/ 56.

(100) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية: ص 41.

(101) ابن الأثير، الكامل: 56/10.

(102) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 57 في حين يرى ابن كثير: ما احسن الشجعان في المحراب.

(103) م.ن، ص 23.

(104) م، ن، ص 23.

(105) كمال الدين: محمد بن الله بن القاسم ولد عام (490هـ) و(ت 572هـ) الذهبي، العبر في أخبار من غبر، تح:محمد السعيد بن بيسوني، مط: دار الكتب العلمية، بيروت (بلا– ت): 63/3.

(106) أسد الدين: هو شيركوه بن شادي (ت 564هـ) كان شجاعاً وهو عم صلاح الدين للمزيد انظر ابن كثير:12/ 278–279.

(107) ابن الأثير، الكامل: 57/10.

(108) م.ن: 57/10، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص 23.

(109) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية: ص 24.

(110) م.ن.ص 22.

(111) ابن كثير، البداية والنهاية: 305/12.

(112) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية ص 29 لم يذكر المؤرخين هذا المثل.

(113) أبو شامة، كتاب الروضتين: 32/1.

(114) أي جعبتين.

(115) م. ن. ص 30، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 226/2.

(116) القطب النيسابوري: هو محمد بن عبدالله بن احمد، سمع الحديث وتولى القضاء في الموصل وكان رسول زنكي إلى الخليفة في بغداد وحط عند نور الدين وصلاح الدين بمنزلة عليا وكان شاعراً واديباً للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 241/4.

(117) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة 569هـ، ص 374.

(118) ابن جبير: محمد بن احمد الأندلسي (ت 614هـ)، رحلة ابن جبير، تح: لجنة تحقيق: التراث، مط: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م، ص 232.

(119) طه: الآية 114.

(120) الزمر: الآية 9.

(121) فاطر: الآية 82.

(122) المجادلة: الآية 11.

(123) البخاري: ابو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة (ت 256هـ) صحيح البخاري، تحقيق: أحمد شاكر، مجلد1، الأول، دار الجيل بيروت (بلا- ت)، ص27.

(*) حسد: هو الغبطة تمني الشيء نفسها بن منظور: محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب، ت: احمد فارس، دار الفكر، بيروت: 149/2.

(125) البخاري: صحيح البخاري: 28/2.

(126) حمر النعم: الإبل الحمر وهي من اشرف أموال العرب، ابن منظور، لسان العرب:210/4.

(127) البخاري، صحيح البخاري: 31/1.

(128) م، ن:31/1.

(129) الإمام مسلم، أبي الحسن الحجاج بن مسلم القرشي(261هـ)، صحيح مسلم، ت: مجموعة من العلماء، بيروت، 1987م: 85/8.

(130) الإمام مسلم، أبي الحسن الحجاج بن مسلم القرشي(261هـ)، صحيح مسلم، ت: مجموعة من العلماء، بيروت 1987م، 85/8.

(131) الخطيب البغدادي: أبى بكر علي بن ثابت (ت 463هـ) تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، مطبعة، دار أحياء السنة النبوية، ط2، 1974م، 88.

(132) الأصفهاني: ابو فرج علي بن حسن (ت 346هـ) الأغاني، نشر صلاح الدين يوسف خليل، دار الفكر للجميع: 287/8.

(133) أبو شامة، كتاب الروضتين، 1/ 201.

(134) م.ن. ص47.

(135) م. ن، ص47.

(*) قطب الدين: هو أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود الطريشيثي الشافعي، ولد عام 505هـ، وتوفي عام 578هـ. للمزيد انظر، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج94/6.

(136) أبو شامة، كتاب الروضتين 1/ 47.

(137) ابن عساكر، تاريخ دمشق 57/ 120- 121.

(138) م. ن، ص121.

(139) م. ن، 121.

(*) الحديث عند ابن عساكر في حين يروي ابن قاضي شهبة (كما جاء في الخبر) الكواكب الدرية، ص57.

(140) ابن عساكر، تاريخ دمشق: 57/ 123.

(141) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 5/ 188.

(142) ابن كثير، البداية والنهاية: 12/ 301.

(143) ابن جبير، رحلة ابن جبير ص232.

(144) م.ن، ص232.

(145) م.ن، ص73.

(146) م.ن، ص73.

(147) م.ن.، ص226.

(148) أبو شامة، كتاب الروضتين 1/ 156.

[149] الشيخ حياة: هو حياة بن قيس بن رحال بن سلطان، كان صاحب كرامات وكان صالحاً عابداً وصدق الإخلاص واجتهاد؛ سأله صلاح الدين عن دخول الموصل فنصحه عدم دخول فرفض وذهب فلم يتمكن من دخولها (ت581هـ). للمزيد أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: 21/ 181.

[150] كمال الدين: هو أبو الفضل بن محمد بن عبد الله الشهرزوري، سمع الحديث وتولى قضاء الموصل. للمزيد أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان 4/ 241.

[151] م.ن، ص181.

[152] ابن كثير، البداية والنهاية 12/ 355- 356.

[153] أبو شامة، كتاب الروضتين 2/ 158، ابن خلكان، وفيات الأعيان 4/ 246.

[154] أبو شامة، كتاب الروضتين 2/ 185.

[*] أي أكرمه.

[155] أبو شامة، كتاب الروضتين: 60/1.

[156] م.ن، ص60.

[157] م.ن، ص60.

[158] أسعد بن المنجى: هو أبو البركان أسعد بن المنجى (ت606هـ) درس على يد الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد وبرع في المذهب الحنفي حتى صارت رياسة المذهب إليه. للمزيد انظر: ابن العديم، بغية الطلب: 28631/4.

[159] المستنجد: وهو أبو المظفر يوسف بن المقتدي بن المستظهر العباسي، خطب له أبوه بولاية العهد عام547 هو استخلف عام 555هـ. وعاش 48سنة ومات عام566هـ للمزيد انظر، ابن الأثير، الكامل: 10/ 28.

[160] الذهبي، سير أعلام النبلاء: 21/ 843.

[161] م.ن، ص843.

[162] حامد بن محمود: هو حامد بن محمود بن حامد تقي الدين وخطيب حران وقاضيها ومدرسها. للمزيد انظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة: 3/ 728- 288.

[163] م.ن: 288/3.

(164) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة: 287/3.

(165) شمس الدين: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن موسى. للمزيد انظر: الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، 1955م،2/ 345.

(166) م.ن، ص345.

(167) الحسين بن محمد: هو الحسين بن محمد بن أسعد تفقه على يد أبيه وولي التدريس بالحلاوية. للمزيد انظر: ابن الوفاء القرشي عبد القادر بن الوفاء محمد بن أبي الوفاء (ت775هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مطبعة أمير محمد كتب خانة، كراتشي، بلا- ت.، ص207.

(168) م.ن، ص207.

(169) أبو الفضل: هو إسماعيل بن أبي الوقار، أصله من المعرة، وأقام بدمشق سافر إلى بغداد وقرأ على أفضل الأطباء من أهلها، كان كثير الخير محمود السيرة، ت554هـ. للمزيد انظر: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء ص 356.

(170) م.ن، ص635.

(171) مهذب الدين هو أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش، مولده ونشأته ببغداد، عالم بعلم العربية والأدب، وكان يتكلم الفارسية وسمع الحديث وأسمعه، خدم نور الدين ثم صلاح الدين. للمزيد انظر: م.ن، 635.

(172) م.ن،ص636.

(173) تم الإشارة إليه سابقاً.

(174) م.ن.، ص628.

(175) سكرة الحلبي: كان شيخا يهوديا قصيرا من حلب وكانت له درية بالعلاج وتصريف في المداواة. للمزيد انظر: م.ن، 637- 638.

(176) أحمد بن منير الطرابلسي ولد في طرابلس عام أحمد بن منير الطرابلسي ولد في طرابلس عام 473هـ وتوفي في حلب عام 548هـ وكان شاعرا مجيدا مكثرا. للمزيد انظر: العماد الأصفهاني، خريدة القصر 1/ 76- 95.

(177) م.ن، ص79.

(178) م.ن، ص78.

(179) م.ن، ص78.

(180) محمد بن نصر: هو أبو عبد الله شرف الدين محمد بن نصر بن صغير القسراني، ولد بعكا، عام 478هـ ومات عام 578هـ، للمزيد أنظر: م.ن، ص96- 159.

(181) م.ن، ص111.

(182) م.ن، ص110.

(183) م.ن، ص125.

(184) م.ن، ص157.

(*) في الروضتين، أجرا.

(185) ابن النقار: هو عبد الله بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن النقار، ولد عام 479هـ بـ(طرابلس) ومات عام 569هـ. للمزيد انظر: العماد الأصفهاني، خريدة القصر 1/ 513- 514.

(186) ابن الزغلة: هو زين الكتاب أبو الحسن علي بن جعفر بن أسد بن علي تـ(571هـ) للمزيد انظر: م.ن، ص327- 317.

(187) م.ن.، ص317.

(188) أبو القسيم: هو أبو المجد مسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم الحموي، للمزيد انظر: م.ن، ص434- 492.

(189) العماد الأصفهاني، خريدة القصر: 1/ ص434.

(190) م.ن، ص474.

(191) ابن رواحة: هو الحسين بن عبد بن رواحة، أبو علي الأنصاري الفقيه الشافعي يرجع نسبه إلى شاعر الرسول ﷺ عبد الله بن رواحه بن ثعلبه الأنصاري الخزرجي الذي استشهد في مؤتة ولد عام 515هـ وتوفي عام 585هـ. للمزيد انظر: م.ن، 2/ 481- 496.

(192) م.ن، ص482.

(193) م. ن، ص483.

(194) أبو اليسر: هو القاضي شاكر بن عبد الله بن محمد كان كاتب الإنشاء عند اتابك زنكي ثم بعده نور الدين ولد عام496هـ وتوفي عام 581هـ، للمزيد انظر: م.ن.، 3/ 35، 3/ 81، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهبي 4/ 521.

(195) العماد الأصفهاني، خريدة القصر 3/ 35.

(196) أبو البركات: هو عبد القادر بن على بن عبد الله بن أبي جرادة، كان ظريفا لطيفا أديبا شاعرا كاتبا له الخط الرائق والشعر الفائق (ت555هـ). للمزيد انظر: م.ن، 2/219.

(197) م.ن، ص219.

(198) علم الدين الشاتاني: هو أبو علي بن الحسن بن عبد الله بت بندار بن إبراهيم الشاتاني أختلف المؤرخون في تحديد عام ولادته ووفاته، فيروي السبكي في طبقاته ان ولدته عام 513هـ ووفاته عام 597هـ، 4/ 39 في حين أن ابن خلكان يروي أنه والد عام 510هـ ووفاته عام599هـ، 3/151.

(199) ابن عساكر، تاريخ دمشق: 1/6.

(200) مجد الدين: هو طاهر بن نصر لله بن جهبل، ولد عام 532هـ وتوفي عام 596هـ. للمزيد أنظر: ابن كثير، طبقات الشافعية، تح: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.، 2/ 745.

(201) ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية ص57.

(202) م.ن، ص75.

(203) إبن عساكر، تاريخ دمشق، 57/121.

(*) العين هي عند قبر حمزة ﷺ، إبن قاضي شهبه، الكواكب الدرية، ص17.

(204) إبن عساكر، البداية والنهاية، 57/122.

(205) إبن كثير، البداية والنهاية، 12/298.

(206) م.ن، 12/300، إبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: 5/230.

(207) إبن كثير،البداية و النهاية، 12/300.

(208) أبي المجد: هو أبي المجد أفضل الدولة محمد بن أبي الحكم، من العلماء المشهورين وكان عارفا بعلم الهندسة والموسيقى، للمزيد إنظرإبن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد

بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي(ت668هـ) عيون الانباء في طبقات الاطباء. تح: نزار رضا. مطبعة: دار مكتبة الحياة، بيروت(بلا–ت) ص635.

(209) أي راتب وأجر

(210) م.ن، ص628.

(211) أبو شامة، كتاب الروضتين:54/1.

(212) م.ن،ج1، ص46.

(213) إبن جبير ،الرحلة، ص223.

(214) م. ن، 332.

(215) ابن القاضي شبهة، الكواكب الدرية

(216) تمولنك: هو تمولنك بن طرغاي الحفظاي الاعرج بلغتهم وفي الأصل تمورالنك ثم خفف فقيل تمولنك خرب دمشق عام783هـ، وبغداد عام795هـ، وهلك عام 805هـ، للمزيد أنظر السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.الضوء اللامع أهل القرن التاسع، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، 41/3–45.

(217) أبو شامة كتاب الروضتين: 46/1.

(218) إبن عساكر، تاريخ دمشق، ص 4، مقدمة دار الفكر.

(*) يقصد الصوفية.

(**) التصوف: إختلف في أصل هذه التسمية؛ فقيل أن إسمها جاء من الصفة وهو الموقع الذي بنى لايواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي؛ وقيل أنها جاءت من الصفا أي صفاء النفس والسريرة، وقيل من الصف أي التقدم بالصفوف بين يدي الله وقيل جاءت من لبس الصوف للمزيد أنظر: بناني، أحمد بن محمد، موقف الامام إبن تيميه من التصوف والصوفية، مكة المكرمة: 67/11.

(219) إبن جبير ،الرحلة، ص312.

(220) م. ن، 231.

(221) إبن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والامم؛ تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت(بلا– ت)، 210/18.

[222] إبن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص36، أما الذهبي فيروي أنه كلف سبعين الفا.

[223] أبو شامه، كتاب الروضتين:92/1 هذا يدل على خوفه من الظلم حتى في بناء بيوت الله.

[224] م. ن، ص93.

[225] رشاد: عبد المنعم، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط1، 1992م، مج2/ 207.

[226] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص36.

[227] م.ن، ص36.

[228] م.ن، ص36.

[229] اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت 768هـ)، مرآة الجنان، مؤسسة الأعلى، بيروت، 1975، 3/ 387، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 4/ 185.

[230] ابن عساكر، تاريخ دمشق: 2/ 295- 296.

[231] م.ن، ص296.

[232] م.ن، ص301.

[233] م.ن، ص302.

[234] م.ن، 306.

[235] سميه باب الفرج لتفاؤل نور الدين لأنه دخل دمشق من هذا الباب عندما فتحها. م.ن، 1/ 409.

[236] م.ن، ص 308.

[237] م.ن، ص308.

[238] م.ن، ص308.

[239] م.ن، ص308.

[240] م.ن، ص315.

[241] م.ن، ص316.

[242] ابن عساكر، تاريخ دمشق: 1/ 318.

[243] م.ن، ص319.

(244) م.ن، ص319.

(*) النعمي: عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ط1، 333/2، جامع قلعة دمشق أنشاه نور الدين.

(245) أبو شامة، كتاب الروضتين: 72/1.

(246) مجير الدولة آبق: صاحب دمشق وابن محمد بن بوري بن طغتكين البعلبكي المولد تملك بعد أبيه وأخذ نور الدين منه وعوضه بحمص. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 20/ 365- 366.

(247) أبو سليمان الدارني: هو عبد الرحمن بن احمد بن عطية الزاهد (ت235هـ). ياقوت الحموي، معجم البلدان، 261/2.

(248) الكيلاني: ماجد عرسان، وهكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر، ط1، 1985م، ص216.

(249) م.ن، ص184.

(250) أبو شامة، كتاب الروضتين:61/1.

(251) ابن عساكر، تاريخ دمشق: 2/ 307.

(252) م.ن، ص381.

(253) م.ن، ص307.

(254) ابن العديم، بغية الطلب: 1/ 62.

(255) م.ن، 62/1.

(256) المقام التحتاني: هو مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أراد ذبح سيدنا إسماعيل عليه السلام. م.ن، 459/1.

(257) م.ن، ص 459.

(258) شعيب: هو شعيب بن حسين بن أحمد الأندلسي كان من الزهاد والفقهاء. للمزيد انظر: م.ن، ص460.

(259) م.ن، ص459.

[260] ابن الصائغ الحنبلي: احمد بن أبي الوفاء بن عبد الرحمن بن عبد الصمد بن محمد البغدادي ولد عام 519هـ/ مات عام (575هـ)، للمزيد انظر: ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن (ت 795هـ)، الذيل على طبقات الحنبلية، دار العلمية، ط1، 1997م، 278/3-288.

[261] ابن العديم، بغية الطلب: 1293/3.

[262] ابن قاضي شبهة، الكواكب الدرية، ص 17.

[263] أبي عصرون: هو عبد الله بن محمد أبي عصرون أحد أئمة الشافعية، كان فقيها وأديب وشاعرا. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان: 53/4.

[264] ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية، ص59.

[265] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب: 227/2.

[266] ألنعمي، الدارس: 250/1.

[267] وهي مدرسة أنشئها فارس الدين بن الدماغ عام 638هـ/ وهي داخل باب الفرج، م.ن، ص177.

[268] أبو البركات: هو الخضر بن شبل بن عبد لحارثي الدمشقي الشافعي (ت562هـ) للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق: 16 /151، أجمعت المصادر على أن كنيته أبو التركات ما عدا الذهبي يكنيه أبو البركان.

[269] العماد الأصفهاني: هو أبو عبد لله محمد بن حامد بن عبد الله بن علي بن محمود الأصفهاني الكاتب ولد عام 519هـ/ للمزيد انظر: السُبكي: ابن نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م: 3/ 408.

[270] النعمي، الدارس: 1/ 308.

[271] أبن كثير: البداية والنهاية: 12/ 271.

[272] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص208.

[273] م.ن، ص218.

[274] العادل: هو أبو بكر بن أيوب بن شادي أخو صلاح الدين كان ذا عقل ودهاء وله خبرة في الأمور ولد عام 547هـ ومات عام 615. للمزيد انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء 22/ 115-120.

[275] قريتين: كانت قديما لي ونكي خرجها الخليفة إلى نور الدين وكان ذلك عام 568هـ. ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية ص220.

[276] م.ن، ص 220.

[277] عصمة الدين: هي عصمة الدين بنت معين الدين آنر تزودها صلاح الدين بعد نور الدين لوقوفها بجانبه بعد الخلف الذي حدث بين وبين إسماعيل ابنها ماتت عام 581هـ. للمزيد انظر: الذهبي تاريخ الإسلام، وفيات 581هـ، ص120، العبر 83/3.

[278] الذهبي، العبر 83/3.

[279] الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات، 581هـ، ص120.

[280] م.ن، ص120.

[281] ابن كثير، البداية والنهاية، 351/12.

[282] اكز: حسام الدين آو أسد الدين الحاجب كانبت وفاته في عام (538هـ) بعد أن قبض عليه وسلمت عيناه وصادرت أمواله، للمزيد انظر الذهبي سير أعلام النبلاء، 20/ ص149.

[283] جوار المدرسة النورية للغرب منها أنشئها ريحان الطروشي، النعمي، الدارس: 401/1.

[284] رشاد، موسوعة: 208/2.

[285] الذهبي، تاريخ، وفيات، 544هـ، ص 218.

[286] الصفدي: صلاح الدين خليل ابن أبيك بن عبدالله (ت 764هـ)، أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1955م، ص 147- 148.

المصادر

- **القرآن الكريم.**

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ).

1. الكامل في التاريخ، تح: ابي الفدا عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ابن ابي اصيبعة: موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة (ت 688هـ).
2. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بلا–ت).
ابن تغري بردي الاتابكي: ابو محاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت 874هـ).
3. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، مصر، (بلا– ت).
ابن حماد: محمد بن علي بن حماد (ت 628هـ).
4. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، القاهرة، 1410هـ.
ابن جبير: احمد بن محمد الأندلسي (ت 614هـ).
5. رحلة ابن جبير، تح: لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م.
ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ).
6. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1985م.
ابن خلكان: ابي العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت 681هـ).
7. وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
ابن رجب: أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين احمد ابن رجب (ت 795هـ).
8. ذيل طبقات الحنابلة، تح: أبو حازم أسامة بن حسين وحازم علي بهجت وحازم علي بهجت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.
ابن صلاح: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت 643هـ).
9. طبقات الفقهاء الشافعية، تح: علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1992م.
ابن العديم: كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله (ت 660هـ).
10. بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكي، دار الفكر، بيروت، ط 1988،1م.
ابن عساكر: الحافظ أبى القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله (ت 571هـ).
11. تاريخ مدينة دمشق، تح: محيي الدين ابي سعيد عمر بن غرامة، دار الفكر، ط1، 1997م.

ابن عماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ).
12. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا–ت).
ابن قاضي شهبة: محمد بن أبى بكر بن احمد الدمشقي (ت 874هـ).
13. الكواكب الدرية في السيرة النووية، تح: محمود زايد، دار الكتاب الجديدة، ط1، 1971م.
ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت 774هـ).
14. البداية والنهاية، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.
15. طبقات الفقهاء الشافعية، تح: احمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (بلا–ت).
ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ).
16. لسان العرب، تح: احمد فارس، دار الفكر، بيروت، (1300هـ).
ابو شامة: عبد الرحمن إسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي، (ت 665هـ).
17. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: محمد حسين عقيل، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1997م.
أبو الوفاء: عبد القادر بن أبو الوفاء محمد بن أبو الوفاء، (ت 775هـ).
18. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مط: مير محمد كتب خانة، كراتشي، (بلا– ت).
البخاري: الأمام عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت 256هـ).
19. صحيح البخاري، تح: احمد شاكر، دار الجيل، بيروت، (بلا–ت).
الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسن (ت 356هـ).
20. الأغاني، نشر: صلاح الدين يوسف خليل، دار الفكر للجميع، (بلا– ت).
الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ).
21. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تح: عمر عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2001م.
22. سير أعلام النبلاء، تح: بشار معروف ومحي هلال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 2001م.
23. العبر في أخبار من غبر، تح: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، (بلا–ت).

الخطيب البغدادي: أبو بكر علي بن ثابت (ت 432هـ).
24. تقييد العلم، تح: يوسف العشر، دار أحياء السنة النبوية، جدة، ط2، 1974م.
السبكي: أبو نصر بن عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ).
25. طبقات الشافعية الكبرى، تح: مصطفى عبد القادر احمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.
السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ).
26. الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله (ت 764هـ).
27. أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1955م.
العبادي: لم أجد له اسم ولا سنة وفات.
28. ذيل طبقات الفقهاء الشافعية، تح: احمد عمر هاشم ومحمد زينهم غرب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1989م.
العماد الأصفهاني: أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد بن عبدالله (ت 597هـ).
29. جريدة القصر وجريدة العصر، تح: شكري فيصل، الهاشمية، دمشق، 1955م.
الأمام مسلم: أبى الحسن بن الحجاج بن مسلم القريشي النيسابوري (ت 562).
30. صحيح مسلم، تح: مجموعة من العلماء، بيروت، 1987م.
النعيمي: عبد القادر بن محمد (ت 927هـ).
31. الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، 1410هـ.
اليافعي: أبو محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت 768هـ).
32. مرآة الجنان، مؤسسة الأعلى، بيروت، ط1، 1337 هـ.
ياقوت الحموي: ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت 626هـ).
33. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (بلا–ت).

المراجع

بناني: احمد بن محمد.
34. موقف الأمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، مكة المكرمة، 1410هـ.
رشاد: عبد المنعم.
35. موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، موصل، ط1، 1992م.
شلبي: احمد.
36. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط 6، 1983م.
عاشور: سعيد عبد الفتاح.
37. صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م.
الكيلاني: ماجد عرسان.
38. هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر، جدة، ط1، 1985م.